مِنْ هَدْيِ الإِسْلَامِ

٤

الفِتَن

بقلم

فضيلة الأستاذ

أحمد عز الدين البيانوني

رحمه الله تعالى

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤
حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ٢٣٧٧٥١
بيروت ص.ب : ١٣٥٢٣٧

الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

رقم الايداع ٤٢٢٤ / ٨٦

التّعريفُ بالمؤلّف

هو :الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ، الملقب بأحمد الصياد ابن الشيخ عيسى البيانوني رحمها الله .

والبيانوني : نسبة إلى قرية « بيانون » التي تقع شمال مدينة حلب على بعد خمسة عشر (كيلو متراً) تقريباً وهي مسقط رأس الشيخ عيسى رحمه الله تعالى .

ولد الشيخ أحمد عام ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٣ م في مدينة حلب ، واستقر مقامه فيها مع والده رحمه الله تعالى ، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح .

عمل المؤلف في حقول التربية والتعليم المختلفة ، حتى طلب الإحالة إلى التقاعد عام ١٩٦٨ م . كان مهتماً بالدعوة الإسلامية عامة ، والتربية العلمية خاصة ، آخذاً بالعزائم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى عرف بذلك في نفسه وأسرته وإخوانه ومحبيه ...

انطلق عـام ١٩٦٥ م في تكوين مـدرسـة تربويـة خـاصـة نسبت إليه ، وعرفت فيما بعد ، باسم « جماعـة أبي ذر » نسبـة إلى مكان تـأسيسهـا ، حيث نشـأت في جـامع أبي ذر في حي الجبيلة بحلب .

اهتمت هذه الجماعة بالتربية الإسلاميـة الـدقيقـة ، وعنيت بتنشئة الشباب فيها على القدوة العملية الصالحة ، في مجـالات الحياة كافة .

كما عني رحمـه الله تعـالى بكتـابـة ونشر الكتب الإسلاميـة ذات الحجم الصغير ، وألّف في ذلك سلسلة العقائد ، وسلسلـة العبادات ، وسلسلة من هـدي الإسلام ، حتى زادت مؤلفـاتـه فيهـا على عشرين كتيبـاً . وقـد لاقت مؤلفـاتـه هـذه قبـولاً واسعاً في مختلف المستويـات والبلـدان نظراً لمـا تمتـاز بـه من أسلوب سهل ميسر ، ومادة علمية نافعة .

تُوفي رحمه الله يوم الجمعـة ١٧ ذي الحجـة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٩ كانـون الأول ١٩٧٥ م ودفن في مقبرة الأعرابي في مـدينـة حلب ، رحمـه الله تعـالى رحمـة واسعـة ، وأقر عينـه بـالثواب الجزيل ، والأجر المستمر إن شاء الله إلى يوم الدين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في الفتنة

قال الله تعالى :

﴿ الٓمٓ ، أحسب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفْتَنون ؟

ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمنّ الله الذين صدقوا ، وليعلمنّ الكاذبين ﴾[1] .

---

(١) ١ ـ ٣ العنكبوت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفتن

معنى الفتنة :

أصل الفتنة في كلام العرب : الابتلاء والامتحان والاختبار .

وهي مشتقة من الفَتْن ، وهو عرض الذهب على النار لتظهر جودته من رداءته .

ويقال : دينار مفتون : أي محروق بالنار .

ووَرِقٌ فتين : أي فضة محروقة .

والفتّانة : الحجر الذي يجرّب به الذهب والفضة .

والحَرَّة - وهي أرض ذات حجارة سود نخرة - يقال لها : فتين .

أي كأنها أحرقت حجارتها بالنار ، وذلك لسوادها .

ثم صـار لفـظ الفتنـة في عرف الكـلام لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء .

قـال أهـل اللغـة : فَتِنَ الرجـل يُفتَن فتـونـا ، إذا وقـع في الفتنة ، وتحوّل من حال حسنة إلى سيئة .

وتكون الفتنة بمعنى الصدّ عن السبيل والرد .

قال الله تعالى : ﴿ **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** ﴾[١] . معناه يصدّوك و يردّوك .

عن ابن إسحاق أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : اجتمع قوم من الأحبـار وقـالوا : اذهبـوا بنـا إلى محمـد ، فلعلنـا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه فقالوا :

قد عرفت يا محمد أنا أحبار اليهود ، وإن اتبعناك لم يخالفنـا أحـد من اليهـود ، وإن بيننـا وبين قـوم خصـومـة ، فنحـاكمهم إليك ، فاقضِ لنا عليهم حتى نؤمن بك .

فأبى رسول الله ﷺ ، فنزلت هذه الآيـة الكريمـة . وتكون

---

(١) ٤٩ ـ المائدة .

الفتنة بمعنى العذاب .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ هم على النار يُفتَنون ، ذوقوا فتنتكم ، هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾[١] .

وتكون الفتنة بمعنى الشرك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾[٢] .

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾[٣] ...

وتكون الفتنة بمعنى العبرة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾[٤] ...

﴿ لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾[٥] .

---

(١) ١٤ ـ الذاريات .

(٢) ٢١٧ ـ البقرة .

(٣) ١٩٣ ـ البقرة .

(٤) ٥ ـ الممتحنة .

(٥) ٨٥ ـ يونس .

أي لا تنصرهم علينا ، فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين .

أو لا تهلكنا بأيدي أعدائنا ، فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ، لم نسلّط عليهم ، فيُفتنوا .

خلق الإنسان للفتنة والابتلاء والاختبار :

قال الله تعالى : ﴿ **الٓمٓ ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ؟ .**

ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين ﴾[1] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش ، يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام ، كسَلَمة بن هشام ، وعبّاس بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ، وياسرٍ أبيه ، وسميَّة أمه ، وعدَّة من بني مخزوم وغيرهم ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استُنكر أن يمكْن الله الكفار من المؤمنين ،

---

(١) ١ - ٣ - العنكبوت .

فنزلت هذه الآية الكريمة ، مسلية ومعلمة أن هذه هي سيرة الله في عبادة اختباراً للمؤمنين وفتنة .

قال العلماء : وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب ، أو ما في معناه من الأقوال ، فهي باقية في أمة محمد ﷺ ، موجود حكمها بقية الدهر ، وذلك أن الفتنة من الله تعالى ، باقية في ثغور المسلمين ، بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك .

وفي الحديث الشريف : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثَل فالأمثل ، يُبتَلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صُلْباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتُلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ، وما عليه خطيئة »[١] .

ابتلاء الله تعالى رسله عليهم الصلاة والسلام

ـ مما ابتلى الله تعالى به نوحاً عليه الصلاة والسلام ولده :
قال تعالى في شأنه :

---

(١) رواه أحمد والبخاري .

﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل :

يابُني اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين .

قال : سآوي إلى جبل يعصمني من الماء .

قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم .

وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ .

إلى أن قال : ﴿ ونادى نوح ربه فقال :

رَبِّ إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين .

قال : يانوح ، إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألنِ ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون .

قال : رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفرْ لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾[١] .

---

(١) ٤٢ ـ ٤٧ ـ هود .

طلب نوح عليه السلام من ابنه أن يركب معه في السفينة حين كان يظنه من المؤمنين ، وتمنى على الله نجاته من الغرق ، حين كان يظنه كذلك ، فلما أعلمه الله تعالى أنه ليس من المؤمنين مع أهله ، وانقطعت النسبة بينه وبينه بسبب الكفر ، وحذّره أن يسأله مالا علم له به ، لاذ بربه عز وجل ، عازفاً عن الولد الضال .

ـ ومما ابتلى الله تعالى به إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ابتلاؤه بتكذيب قومه وإلقائهم إياه في النار ..

قالوا : ﴿ **ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم .**

فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ﴾[١] .

﴿ **قالوا : حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين**

قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .

وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴾[٢] .

---

(١) ٩٧ ـ ٩٨ ـ الصافات .

(٢) ٦٨ ـ ٧٠ ـ الأنبياء .

ابتلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك ، فصبر ، فكانت عاقبته السلامة ، وعاقبة أعدائه الغيظ والخسران .

- ومما ابتلى الله تعالى به إبراهيم عليه السلام :

أمرهُ إياه أن يرحل بولده إسماعيل عليه السلام ، وبزوجته أم إسماعيل ، إلى أرض الحجاز ، وأن يتركهما هناك ، وليس معهما إلا قليل من طعام ، وقليل من شراب .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل ، وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه ، حتى وضعها عند البيت - أي عند الكعبة ، أو موضعها الذي بنيت فيه بعد - عند دوحة فوق زمزم - التي نبعت بعد ذلك - في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد . وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جِراباً فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء ، ثم قفّى إبراهيم منطلقا .

فتبعتْه أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟

فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها .

قالت له : آلله أمرك بهذا ؟

قال : نعم .

قالت : إذن لا يضيِّعنا .

ثم رجعتْ ، فانطلق إبراهيم عليه الصلاة ، حتى إذا كان عند الثنِيّة - أي عند الحَجون - حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، فرفع يديه فقال :

﴿ رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾[1] .

ابتلي إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك ، فامتثل وصبر ، فكانت العاقبة أن جعل الله تعالى من ذريته سيد المرسلين وخاتم النبيين محمداً ﷺ وعليهم أجمعين .

---

(١) ٣٧ - إبراهيم . رواه البخاري .

- ومما ابتلي به إبراهيم عليه السلام : أمرُ الله تعالى إياه بذبح ولده .

قال الله تعالى : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم .**

فلما بلغ معه السعي قال : يابني إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟

قال : ياأبتِ افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ .

إلى أن قال تعالى : ﴿ **إن هذا لهو البلاء المبين** ﴾[1] .

ابتلي إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بهذا ، فخضعا لحكم الله تعالى ، واستجابا لأمره ، فكان لهما الشرف الأعظم بظهور نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ ، من نسلهما الطيب الطاهر .

- ومما ابتلى الله تعالى به يعقوب عليه السلام :

فَقْدُ ولديه يوسف ثم بنيامين ، حتى قال لأولاده :

---

(١) ١٠١ - ١٠٩ - الصافات .

﴿ **بل سوّلتْ لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميـل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً ، إنه هو العليم الحكيم . وتـولى عنهم ، وقـال : يـا أسفـا على يـوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾[1] .

وصبر يعقوب عليه السلام ، حتى جمع الله بينهم جميعاً .

ـ ومما ابتلى الله تعالى به يوسف عليه السلام .

مـا وقع لـه من إخـوتـه حين رمـوه في الجب ، وبُعْـدهُ عن أبو يه ، ثم ابتلاؤه بامرأة العزيز إذ راودته عن نفسه فاستعصم ، وعصمـه الله تعـالى ، ثم ابتـلاؤه بـالسجن ، بسبب كيـد امرأة العزيز ﴿ **فلبث في السجن بضع سنين** ﴾ .

ولما تمت مرحلة الابتلاء ، خرج من السجن نـاصع الجبين ، بريئاً مما اتُّهم بـه ، وجعلـه الله على خزائن الأرض ، ومكّن لـه فيهـا ، فعلا شـأنـه وعز ، وجـاءه أبواه واعتـذر إليـه إخوتـه ، وقرّت عين الجميع باجتماع الشمل ، ولقاء الأهل ...

---

(١) ٨٣ و ٨٤ ـ يوسف .

ـ ومما ابتلى الله تعالى به نبينا محمداً ﷺ :

ما لاقاه من قومه حين دعاهم إلى الإسلام :

قالوا عنه : ساحر . وقالوا : كاهن . وقالوا : كذاب . وقالوا : مجنون ...

قال الله تعالى : ﴿ **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم : وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب**

وقال عز وجل مسلياً له عن قولهم : ﴿ **فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون** ﴾[٢] .

﴿ **كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون** ﴾[٣] .

هذا ، وهمَّ قومه مرة بخنقه ...

وهموا أن يلقوا عليه صخرة وهو ساجد ...

---

(١) ٤ ـ ص .

(٢) ٢٩ ـ الطور .

(٣) ٥ ـ الذاريات .

ووضعوا على ظهره الأقذار وهو ساجد ...

ورماه أهل الطائف بالحجارة حتى أدموا عراقيبه ...

وأجمع المشركون بعد ذلك على قتله ، فأمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة فهاجر ، تاركاً مسقط رأسه وأحب بلاد الله إليه .

ولما تمت مرحلة الابتلاء ، نصره الله على أعدائه ، ورده إلى مكة فاتحاً عزيزاً رفيع الجناب ، وزاد في رفعته وعزته عفوه عمن أساء إليه ، وقوله : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ابتلاء الصحابة :

ـ ومما ابتُلي به الصحابة رضي الله عنهم :

شدة أذى المشركين :

فمنهم من مات تحت العذاب ...

ومنهم من ضُرب حتى أغمي عليه ...

ومنهم من عُذِب حتى عمي ...

واشتد بهم العذاب حتى هاجر من هاجر منهم إلى الحبشة مرتين ، ثم إلى المدينة ...

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال :

شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسّد بردة له في ظل الكعبة ، ولقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا :

ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : قد كان من قبلكم ، يؤخذ الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه .

والله ليُتمَّنّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون[١] .

وقال تعالى معرّضاً لهم بهذا الابتلاء :

---

(١) رواه البخاري .

﴿ لتُبلَـوُنّ َفي أمـوالكم وأنفسكم ، ولتسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الـذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقـوا فـإن ذلـك من عـزم الأمور ﴾[1] .

ولما تمت مرحلة الابتلاء ، أيدهم الله تعالى بنصره ، وأمدهم بملائكته ، فقتلوا صناديد الكفر في بدر ، وردهم إلى مكة فاتحين ظافرين ، وصعد بلال رضي الله عنه ظهر الكعبة ، ونادى بصوته الجهوري : « الله أكبر ، الله أكبر » وفي نشوة هذا الظفر وعزة الإسلام ، ما ينسي شدة الابتلاء .

ـ ومما ابتُلوا به شدة الفقر : عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال :

إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ، مالنا طعام إلا ورق الحُبْلة ـ نوع من الشجر ـ وهذا السَّمُر ـ شجر أيضاً ـ حتى إن كان أحدنا ليضع كما

(١) ١٨٦ ـ آل عمران .

تضع الشاة ـ أي من البعر ـ ماله خَلْط[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :

« والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد على كبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع »[٢] ...

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، كان إذا صلى بالناس ، يخِر رجال ـ أي يسقطون ـ من قامتهم في الصلاة من الخَصاصة ـ أي من الفاقة والجوع الشديد ـ حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين ، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال :

« لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى ، لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة »[٣] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال :

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه الترمذي .

بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه ، نتلقى عيراً لقريش ، وزوّدنا جراباً من تمر ، لم يجد لنا غيره .

فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة .

فقيل : كيف كنتم تصنعون بها ؟!

قال : نمصُّها كما يمصّ الصبي ، ثم نشرب عليها من الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصيّنا الخَبْط - وهو شجر في الحجاز معروف - ثم نبله بالماء فنأكله[1] .

ولما تمت مرحلة الابتلاء ، آتاهم الله تعالى من زهرة الدنيا ما آتاهم ، وجاءتهم كنوز كسرى وقيصر ، وأصبحوا ملوك الأرض .

أصابتهم فتنة الضراء فصبروا ، وفتنة السراء فشكروا .

- ومما ابتُلوا به الهجرة والجهاد :

قال الله تعالى :

---

(١) رواه مسلم .

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين ﴾[١] ؟

﴿ أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ؟ ﴾[٢] .

والوليجة : البِطانة والمداخلة ، من الولوج وهو الدخول .

وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة . والرجل يكون في القوم وليس منهم وَليجة .

وقال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولَّهم منكم ، فأولئك هم الظالمون .

قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم

---

(١) ١٤٢ ـ آل عمران .

(٢) ١٦ ـ التوبة .

وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[١] .

امتحن الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم بالهجرة والجهاد في سبيل الله ، فاستجابوا أسرع استجابة ، وأبلَوا أحسن بلاء ، وعادَوا في الله الأقارب والأرحام ، فجعل الله تعالى ذلك وصف المؤمنين الصادقين ، فقال :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾[٢] .

---

(١) ٢٣ ـ ٢٤ ـ التوبة.

(٢) ٢٢ ـ المجادلة .

نزلت هذه الآية الكريمة في الصحابي الجليل عبد الله رضي الله عنه ابن رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ .

جلس عبد الله الصحابي رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فشرب النبي ﷺ ماء .

فقال له عبد الله رضي الله عنه : بالله يارسول الله ، ما أبقيتَ من شرابك فضلةً أسقيها أبي ، لعل الله يطهر بها قلبه ؟

فأفضل له رسول الله ﷺ ، فأتى أباه بها .

فقال له أبوه عبد الله المنافق ؟ ما هذا ؟

فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ ، جئتك بها تشربها ، لعل الله يطهر قلبك بها .

فقال له أبوه : فهلا جئتني ببول أمك ، فإنه أطهر منها .

فغضب وجاء إلى النبي ﷺ ، وقال :

يارسول الله : أما أذنتَ لي في قتل أبي ؟

قال النبي ﷺ : بل تَرفُق به ، وتحسن إليه .

وروي أن أبا قحافة والد أبي بكر سب النبي ﷺ ، فصكّه أبو بكر رضي الله عنه صكة ، فسقط منها على وجهه .

ثم أتى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له .

فقال : أوَ فعلتَه ؟ لا تعد إلى مثل ذلك .

فقال أبو بكر : والذي بعثك بالحق نبيا ، لو كان السيف مني قريباً لقتلته .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، قتل أباه يوم بدر ، وكان أبوه يتصدى له ، وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر ، قصد إليه أبو عبيدة فقتله ، فأنزل الله تعالى فيه :

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... ﴾

ودعا أبو بكر رضي الله عنه ابنه عبد الله إلى البراز يوم بدر ، فقال النبي ﷺ :

متْعنا بنفسك ياأبا بكر ، أما تعلم أنك عندي بمنزلة السمع والبصر ؟

وقتل مُصْعَب بن عمير رضي الله عنه أخاه عبيد بن عمير يوم بدر .

وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاص بن هشام ابن المغيرة يوم بدر .

وعلي وحمزة رضي الله عنهما قتلا عُتْبة وشيبة والوليد يوم بدر .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال :

غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر فقال :

يا رسول الله ، غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ، ليَرَيَنَّ الله ما أصنع .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال :

اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ

إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -

ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقال :

يا سعد بن معاذ ! الجنةَ وربِّ الكعبة . إني أجد ريحها دون أحد .

قال سعد : فما استطعت يارسول الله ما صنع !

قال أنس : فوجدنا فيه بضعاً وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، ومثّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، - أي بإصبعه -

قال أنس : كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه :

﴿ **رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا** ﴾[1] .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال :

انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون .

---

(١) ٣٣ - الأحزاب . رواه البخارى ومسلم .

فقال رسول الله ﷺ : لا يقدَمَنَّ أحد منكم إلي شيء ، حتى أكون دونه .

فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ :

قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض .

فقال عُمير بن الحَمام الأنصاري رضي الله عنه :

يارسول الله ، جنة عرضها السموات والأرض ؟!

قال : نعم .

قال : بخٍ بخ - كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير -.

فقال رسول الله ﷺ : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟

قال : لا والله يارسول الله ، إلا رجاءَ أن أكون من أهلها .

فأخرج تمرات من قَرَنَه - جعبة سهامه - فجعل يأكل منهن ، ثم قال :

لئن أنا حِييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة .

فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل[١] .

ولما تمت مرحلة الابتلاء ، مكّن الله تعالى لهم في الأرض ، وجعلهم خلفاءه فيها ، ونالوا ثناء الله تعالى عليهم في كتابه ، وبشرهم بما أعدّ لهم في الآخرة من الفوز العظيم ، والأجر الكريم ، والنعيم المقيم .

اختلاف الآراء فتنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« يتقارب الزمان ـ أي تنقص بركته فيمر سريعاً ـ وينقص العمل ـ يعني الصالح ـ ويُلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهَرْج .

قالوا : يارسول الله أيُّمَ هو ؟

قال : القتلُ ، القتل »[٢] .

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

« ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرَّف لها تستشرفْه ـ أي من تطلّع لها أهلكته ـ فمن وجد فيها ملجأ أو مَعاذا فليعُذْ به »(١) .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

إنها ستكون فتن ، ألا ثُمَّ تكون فتنة ، القاعد فيها خير من الماشي فيها ، والماشي فيها خير من الساعي فيها ، ألا فإذا نزلت ، أو وقعت ، فمن كانت له إبل ، فليلحق بها ، ومن كانت له غنم ، فليلحق بها ، ومن كانت له أرض ، فليلحق بأرضه .

فقال رجل : يارسول الله ، أرأيت من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟

قال : يعمد إلى سيفه ، فيدقّ على حده بحجر ، ثم لينْجُ إن استطاع النجاء .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

اللهم هل بلّغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟

فقال رجل : يـارسول الله إن أكرهت وانطُلق بي إلى أحـد الصفين ، أو إحـدى الفئتين ، فضربني رجل بسيفـه ، أو يجيء سهم فيقتلني ؟

قال : يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون من أصحاب النار[١] .

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

يـارسـول الله ، أرأيت إن دخـل عليّ بيتي ، وبسـط يـده ليقتلني ؟

قال : كن كابن آدم القائل :

﴿ لئن بسطتَ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسـط يـديَ إليك لأقتلك ﴾[٢] .

وعن أبي بكرة رضي الله عنـه أنـه قـال : سمعت رسـول الله ﷺ يقول :

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .

إذا تواجه المسلمان بسيفهما ، فكلاهما من أهل النار .

قيل : فهذا القاتل - أي أمره ظاهر في استحقاقه النار - فما بال المقتول ؟

قال : إنه أراد قتل صاحبه[١] .

وفي رواية : إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح ، فهما على جرُف جهنم - أي على حافتها - فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعا[٢] .

وفي الحديث الشريف :

إنها ستكون فتنة تستنظف العرب - أي تستأصلهم هلاكا - قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من وقع السيف[٣] .

إن السعيد لمن جنّب الفتن ، إن السعيد لمن جنب الفتن ، إن السعيد لمن جنب الفتن ، ولَمن ابتُلي فصبر فواهاً - أي حسرة

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أبو داود والترمذي .

لمن باشر الفتنة وسعى فيها[١] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الفتنة :

كسِروا فيها قِسيَّكم ، وقطّعوا فيها أوتاركم ، والزموا فيها أجواف بيوتكم ، وكونوا كابن آدم[٢] .

الإخبار بالفتن وأنواعها :

عن حذيفة رضي الله عنه ، قال :

قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، ماترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ، إلا حدّث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه[٣] .

وعنه أنه قال : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ، ولكنْ رسول الله ﷺ ، حدثنا في مجلس عن الفتن ، فعدّها وقال :

منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً ، ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ، ومنها كبار .

قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري[١] .

وعن عمرو بن أخطب رضي الله عنه أنه قال :

صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا[٢] .

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال :

والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسَوْا ؟

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

والله ما ترك رسول الله ﷺ من قـائـد فتنـة إلى أن تنقضي الدنيا ، يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا ، إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه ، واسم قبيلته ـ أي وصفه وصفاً مفصلاً واضحا[١] .

وفي الحديث الشريف :

« يكون في هذه الأمة أربع فتن ، في آخرها الفناء »[٢] .

وكل هـذا تحـذير من الفتن ، وحض للمسلمين على اجتماع الكلمـة ، ووحـدة الصف ، فلينتبهوا من غفلتهم ، ولينتفعوا بمواعظ نبيهم محمد ﷺ .

الانضمام إلى الجماعة في الفتن

عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال :

كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .

فقلت : يارسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أبو داود .

بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : نعم .

قلت : وهل بعد هذا الشر من خير ؟

قال : نعم ، وفيه دَخَن .

قلت : وما دخنه !

قال : قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر .

قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر !

قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلت : يارسول الله ، صفهم لنا .

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قـال : فـاعتزل تلـك الفِرقَ كلهـا ، ولـو أن تعضَّ بـأصـل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[١] .

متى ابتدأت الفتنة ؟

عن حذيفة رضي الله عنه ، فقال :

كنا عند عمر رضي الله عنه ، فقال :

أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن ؟

فقال قوم : نحن سمعناه .

فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره[٢] ؟

قالوا : أجل .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) وحديثها : فتنة الرجل في أهله ومالـه وولـده وجـاره تكفرهـا الصلاة والصيـام والصـدقـة والأمر والنهي ، وفتنـة الرجـل فيهم ضروب من فرط محبتـه لهم ، وشحه عليهم ، وشغلـه بهم عن كثير من الخير ، أو لتفريطـه بمـا يلزم من القيـام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته .
وكـذلـك فتنـة الرجـل في جـاره من هـذا القبيـل . (قـالـه النـووي رحمـه الله تعالى) .

قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع التي تموج موج البحر ؟

قال حذيفة : فأسكت القومُ ـ أي سكتوا وأطرقوا ـ

فقلت : أنا .

قال : أنت لله أبوك ـ كلمة مدح ـ

قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشرِبها ، نُكِتَ فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين :

على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض .

والآخر أسود مُربْاداً ـ أي ممزوجاً بياضه بسواد ـ كالكوز مُجَخِياً ـ أي منكوساً ـ لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أُشرب من هواه .

قال حذيفة : وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً ، يوشك

أن يُكسَر .

قال عمر : أكسْراً لا أباً لك[١] فلو أنه فُتح لعله كان يعاد .

قلت : لا ، بل يُكسر .

وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت ، حديثاً ليس بالأغاليط ـ أي هو حق لا غلط فيه[٢] ـ

قال العلماء : وكان ذلك الباب عمر رضي الله عنه .

من أين تخرج الفتنة ؟

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : ألا إن الفتنة ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان[٣] .

---

(١) لا أبا لك : كلمة تذكرها للحث على الشيء ، ومعناها : أن الإنسان إذا كان له أب ، وحزبه أمر ، ووقع في شدة ، عاونه أبوه ، ورفع عنه بعض الكل ، فلا يحتاج من الجد والاهتمام إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد ، وفقد الأب المعاون .
فإذا قيل : لا أبا لك ، فمعناها : جد في هذا الأمر ، وشمر وتأهب تأهب من ليس له معاون .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

وعنه أن النبي ﷺ قال :

اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا .

قالوا : وفي نجدنا .

قال : اللهم بارك لنا في شأمنا ، اللهم بارك لنا في يمننا .

قالوا : يارسول الله وفي نجدنا .

فأظنه قال في الثالثة : هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان[١] ـ أي تظهر منها الفتن التي يشعلها الشيطان ـ

اتضح من هذا أن الفتنة ابتدأت في المسلمين من بني أمية الذين كانوا يحيطون بعثمان رضي الله عنه ، وأظهروا له الإخلاص ، فولى بعضهم أمراء في الجهات ، واستبطن آخرين منهم ، فجعلهم أهل مشورته ، وأفضى إليهم بسرّه .

ثم بعد ذلك اشتعلت نارها في وقعة الجمل ، ووقعة صفين ، ثم ظهرت الخوارج ...

---

(١) رواه البخاري .

وهذه كلها كانت في نجد والعراق وما وراءهما من المشرق ، كما أخبر النبي ﷺ .

وتلك معجزات ظاهرات باهرات .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً أنه قال :

خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال :

رأس الكفر من ها هنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان ، يعني المشرق[1] .

ولعل النبي ﷺ بعد هذا كله ، يشير إلى الشيوعية ، دعوة الكفر والإلحاد ، وإنكار الله تعالى ، وإنكار النبوات والأديان ، فهي دعوة كفر نابعة من المشرق أيضاً ، وشعارها : « لا إله والحياة مادة » ويقول زعماؤها : « الدين أفيون الشعوب » .

والله تعالى أعلم .

---

(١) رواه مسلم .

الصبر على الفتن :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء[١] .

وزاد في رواية :

قيل : ومن هم يا رسول الله ؟

قال : الذين يَصلحون إذا فسد الناس .

وفي رواية قال : الذين يفرون بدينهم من الفتن .

وفي أخرى : الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي .

وفي رواية خامسة قال : قوم قليل ، في ناس سَوْء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

---

(١) رواه مسلم والترمذي .

يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر[١] .

وعن معقِل بن يسار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ[٢] .

والهرج : كثرة الفتن والقتل .

* * *

تنبيه :

يجري على ألسنة كثير من الناس هذا الحديث الآتي :

إنكم في زمـان ، من ترك منكم عُشر مـا أُمِر بـه هلـك ، ثم يأتي زمان ، من عمل منكم بعُشر ما أُمِر به نجا[٣] .

ويرون فيــه العــذر لأنفسهم ولغيرهم ، في ترك الفروض وارتكاب المنكرات ، وفي السكوت عن ذلك ..وهذا الفهم ضلالـة .

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي .

قال المناوي رحمه الله تعالى ، في شرحه على الجامع الصغير عند هذا الحديث :

أورده ابن الجوزي في الواهيات ، وقال النسائي : حديث منكر .

وقال المناوي في شرحه : إن معناه :

من ترك منكر عُشر ما أُمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ لا يجوز صرف هذا القول إلى عموم المأمورات ، لما عُرف أن مسلماً لا يُعذَر فيما يهمل من فرض عيني[1] .

لا تزال طائفة على الحق :

عن ثوبان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله[2] .

وفي هذا بشارة عظيمة للطبقة الصالحة في كل جيل ، وحضّ

---

(١) انظر فيض القدير ، شرح الجامع الصغير (ج ٢ / ص ٥٥٦)

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

لما على مجاهدة النفوس لتكون من هذه الطائفة طائفة الحق ، المعنية بقول البشير الأعظم ﷺ .

المعاصي من أسباب الفتنة :

قال الله تعالى :

﴿ اتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلَموا منكم خاصة ﴾[1] ...

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يُقرُّوا المنكر فيما بينهم ، فيعمهم الله بالعذاب .

وعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها ، أنها سألت رسول الله ﷺ ، فقالت له :

يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟!

قال : نعم ، إذا كثر الخَبَث[2] .

---

(١) ٢٥ ـ الأنفال .

(٢) رواه مسلم .

وفي الحديث الشريف :

« إن الناس إذا رأوا الظالم ، ولم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده[١] .

مَثَل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا - أي اقترعوا - على سفينة فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استَقواْ من الماء ، مروا على من فوقهم ، فقالوا :

لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا .

فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم - أي منعوهم - نَجَوْا ونجوا جميعاً[٢] .

ومعنى القائم في حدود الله : المنكر لها القائم في دفعها وإزالتها .

والمراد بحدود الله : ما نهى الله عنه .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري .

قال العلماء رضي الله عنهم :

في هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة .

وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالفتنة إذا عَملت هلك الكل ، وذلك عند ظهور المعاصي ، وانتشار المنكر ، وعدم التغيير .

وفي الحديث الشريف :

« إذا أنزل الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بُعثوا على أعمالهم »[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

عَبث رسول الله ﷺ في منامه ـ أي اضطرب بجسمه .

فقلت : يا رسول الله ، صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله !

---

(١) رواه البخاري .

قـال : العَجبُ ، إن نـاسـاً من أمتي يـؤمـون هـذا البيت ، برجل من قريش ، قـد لجأ بـالبيت ، حتى إذا كانـوا بـالبيـداء خُسف بهم .

فقلنا يارسول الله ، إن الطريق قد يجمع الناس .

قـال : نعم ، فيهم المصتبصر ـ أي المستبين للأمر ، القـاصـد لذلك عمـدا ـ والمجبور ، وابن السبيل ، يهلكون مَهْلِكاً واحـداً ، ويَصدُرون مصادر شتى ، يبعثهم الله تعالى على نياتهم[1] .

فإن قيل : قد قال الله تعالى :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[2] .

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾[3] .

وهذا يوجب أن لا يؤخذ أحـد بـذنب أحـد ، وإنمـا تتعلق العقوبة بصاحب الذنب .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ١٥ ـ الإسراء .

(٣) ٣٨ ـ المدثر .

فالجواب : أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر ، فمن الفرض على كل من رآه أن يغيّره ، فإذا سكتوا عليه ، فكلهم عاصٍ ، هذا بفعله ، وهذا برضاه .

وقد جعل الله تعالى في حُكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل ، فانتظم في العقوبة .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم .

قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً .

فضُرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قِبَله العذاب .

ينادونهم : ألم نكن معكم ؟

قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربّصتم ، وارتبتم ، وغرتكم الأماني ، حتى جاء أمر الله ، وغركم

بالله الغرور ﴾[١] .

قال المفسرون :

معنى فتنتم أنفسكم : استعملتوها في الفتنـة ، وأهلكتموهـا في النفاق والمعاصي والشهوات واللذات ...

فالاسترسال في المعاصي والشهوات من أعظم أسباب الفتنة .

* * *

قال الله تعالى :

﴿ فليحذر الـذين يخـالفون عن أمره ، أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[٢] .

يحذر الله تعالى عباده من مخـالفـة أمره وأمر رسولـه ﷺ ، ويتوعـدهم على المخـالفـة بـالفتنـة في الـدين ، ووقـوع الأهـوال والشدائد ، وجور الحكام ، والطبع على القلوب بشؤم المخالفة .

---

(١) ١٣ و ١٤ ـ الحديد .

(٢) ٦٣ ـ النور .

الشيطان للإنسان فتنة :

قال الله تعالى :

﴿ يـا بني آدم ، لا يفتننّكم الشيطـان ، كما أخرج أبـويكم من الجنـة ، ينزع عنهما لبـاسهما ليُريَهما سوءاتهما ، إنـه يراكم هو وقبيلـه من حيث لا ترونهم ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾[١] .

أي لا يصرفنّكم الشيطان عن الدين ، كما فتن أبويكم ، وكان سبب خروجهما من الجنة .

موالاة المسلمين للكافرين فتنة :

قال الله تعالى :

﴿ والـذين كفروا بعضهم أوليـاء بعض ، إلاّ تفعلـوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾[٢] .

---

(١) ٢٧ ـ الأعراف .

(٢) ٧٣ ـ الأنفال .

قطع الله تعالى الولاية والمحبة بين الكفار والمؤمنين ، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، والكفار بعضهم أولياء بعض ، يتناصرون بدينهم ، ويتعاملون باعتقادهم .

فإن لم يفعل ذلك المؤمنون ، وتولوا الكافرين دون المؤمنين ، تكن فتنة ـ أي محنة بالحرب ، وظهور للكفر ـ

وقد أعلن الله تعالى براءته ممن يوالي الكافرين ، فقال :

﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير ﴾[1] .

الفتنة بالمتشابه :

قال الله تعالى :

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات مُحْكَمات هنّ أم الكتاب ، وأخرَ متشابهات ، فأما الذين

---

(١) ٣ ـ آل عمران .

في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكّر إلا أولو الألباب ﴾[١] .

فأهل الزيغ والضلال ، يطلبون الشبهات ؛ ليشككوا المؤمنين بربهم ، ويفتنوهم عن دينهم ، ويفسدوا ذات بينهم ، ويردّوهم إلى زيغهم وكفرهم .

وردت في القرآن الكريم آيات ، وفي السنة المطهرة أحاديث ، توهم بظواهرها مشابهة الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم : كالوجه ، والعين ، واليد ، والاستواء على العرش ، ونسبة الجهة ، والنزول ، والفرح ، والضحك ، وما أشبه ذلك ...

وقد انقسم الناس في ذلك على أربع فِرَق :

---

(١) ٧ ـ آل عمران .

أ ـ المجسمة :

وهي فرقة أخذت بظواهر هذه الآيات والأحاديث كما هي ، فنسبت إلى الله تعالى وجهاً كوجوه الخلق ، ويداً كأيديهم ، وضحكاً كضحكهم .

وهم ليسوا من الإسلام في شيء ، وليس لقولهم نصيب من الصحة ، ويكفي في الرد عليهم قول الله تعالى .

﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾[1] .

﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾[2] .

ب ـ والمعطّلة :

وهي فرقة عطّلت معاني هذه الألفاظ على أيّ وجه ، ونفَوْا مدلولاتها عن الله عز وجل على وجه الإطلاق ، فالله تعالى عندهم لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ... لأن ذلك ـ في

(١) ١١ ـ الشورى .

(٢) سورة الإخلاص .

زعمهم ـ لا يكون إلا بجارحة ، والجوارح يجب أن تُنْفَى عن الله سبحانه .

فهم بــذلــك يعطلــون صفـــات الله تبـــارك وتعـــالى ، ويتظاهرون بتقديسه .

وهذان رأيان باطلان ، لاحظ لهما من النظر .

وبقي أمامنا رأيان ، هما محل أنظـار العلمـاء في العقـائـد ، وهما : رأي السلف ، ورأي الخلف .

* * *

جـ ـ مذهب السلف :

أما السلف رضي الله عنهم فقالوا :

نـؤمن بهـذه الآيـات والأحـاديث كما وردت ، ونترك بيـان المقصود منها لله تبارك وتعالى .

فهم يثبتون اليد والعين والاستواء والضحـك ... وكل ذلـك بمعانٍ لا ندركها ، ونترك لله تعـالى الإحـاطـة بعلمهـا ، ولا سيما وقد نُهينا عن ذلك في قول النبي ﷺ :

تفكروا في خلق الله ، ولا تتفكروا في الله ، فإنكم لن تقدُروه قدره[١] .

د ـ مذهب الخلف :

وأما الخلف رضي الله عنهم فقالوا :

إننا نقطع بأن معاني ألفاظ هذه الآيات والأحاديث ، لا يراد بها ظواهرها ، وعلى ذلك فهي مجازات لا مانع من تأويلها ، فأخذوا يؤوّلون الوجه بالذات ، والعين بالعناية ، واليد بالقدرة ... وما إلى ذلك هرباً من شبهة التشبيه .

ترجيح مذهب السلف :

يرى كثير من العلماء أن مذهب السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تعالى أسلم وأولى بالاتباع ، حسماً لمادة التأويل والتعطيل .

ويرى هؤلاء العلماء أنفسهم أن تأويلات الخلف لا توجب عليهم الحكم بكفر ولا فسوق .

---

(١) رواه الأصفهاني وأبو الشيخ .

وقـــد اتفـق السلف والخلف على أن المراد غير الظـــاهر المتعارف بين الخلق ، فرضي الله عنهم أجمعين .

الفتنة بالخوارق :

والخوارق أمور خارقة للعـادة ، وقـد تكون من المغيَّبـات ، ومما يجب الإيمان به من السمعيات ، وقـد تكون معجزات أو كرامات ، أو استدراجاً ، أو سحراً ...

فمن السمعيات :

ما جاء في قوله تعالى :

﴿ سـأصليـه سقر ، ومـا أدراك مـا سقر ؟ لا تُبقي ولا تـذر ، لـوَاحـةٌ للبشر * عليهـا تسعـة عشر * ومـا جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾[1] ...

أي بلية لهم ، وضلالة يعقبها عذاب .

وذلك أنه لما نزل قوله تعالى : **﴿ عليها تسعة عشر ﴾** ،

(١) ٢٦ ـ ٣١ ـ المدثر .

قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ! أسمع ابن أبي كبشة[١] يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم الدّهْم - أي العدد - والشجعان ، فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ؟!

وقال أبو الأسود الجُمَحي : لا يهولنّكم التسعة عشر ، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ، ثم تمرون إلى الجنة ، يقولها مستهزئاً .

وقال الحارث بن كلَدة : أنا أكفيكم سبعة عشر ، واكفوني أنتم اثنين .

فنزل قوله تعالى :

﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ ...

قال المفسرون : إن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها ، كما قال الله تعالى في آخر هذه الآية :

---

(١) كنية زوج حليمة مرضعة النبي ﷺ ، يريدون بنسبته إليه الاستهزاء به والسخرية منه .

﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ... ﴾ .

وفي الحديث الشريف :

« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف مَلك يجرّونها »[١] .

فهذا وأمثاله مما ورد من أحوال البرزخ ، وأخبار القيامة ، وأحوال الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ... كل ذلك يؤمن به السعداء الموفقون ، ويفتن به الأشقياء المخذلون ، فينكرونه إذ تضيق عنه عقولهم ، وتقصر عنه إدراكاتهم .

مع أن ذلك كله من الجائز عقلاً ، وكم جعل الله تعالى تحت أسماعنا وأبصارنا وسائر حواسنا في الدنيا ما يقرب ذلك من عقولنا !

---

(١) رواه مسلم .

تقريب :

فالجنين في بطن أمه كائن حي ، يحسّ ويتحرك ويتألم وينمو ويمرض ويصحّ .. إلى أن يقضي زمناً معيناً ، ثم ينتقل إلى هذه الحياة طفلاً ضعيفاً كما نراه .

قال الله تعالى : ﴿ **ونُقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا** ﴾[1] ...

ثم ينتقل الجنين من ضيق الرحم إلى هذه الحياة الفسيحة ، فيحيا فيها حياة لا شبه بينها وبين حياته الأولى في بطن أمه ، فيتغذى من فمه ، ويسمع بأذنيه ، ويبصر بعينيه ، ويبطش بيديه ، ويمشي على رجليه .. حتى إذا بلغ أشدّه واستوى ، منحه الله تعالى عقلاً ، وآتاه علماً ، وبقي في هذه الحياة إلى آخر أجله المحتوم ... ثم يموت .

فأخبرنا النبي ﷺ بوحي صادق من ربه عز وجل ، أن الإنسان إذا مات ، انتقل من هذه الحياة إلى حياة برزخية ،

---

(١) ٥ ـ الحج .

يتنعم فيها أو يعذب .

ثم تقوم الساعة ، ويُبعث الناس ويحشرون ، ويحاسبون على أعمالهم ، فمنهم شقي وسعيد .

فالسعيد يدخل الجنة ، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، خالداً فيها أبدا .

والشقي يدخل النار ، وفيها عذاب شديد ، خالداً فيها أبدا .

فالخالق العظيم القوي القادر ، الذي جعل التفاوت عجيباً بين حياة الإنسان وهو جنين ، وبين حياته وهو بشر في الدنيا سويّ ، قادر على أن يجعل التباين أكبر ، والتفاوت أعظم ، بين حياته في الدنيا ، وحياته في البرزخ ، ثم بينها وبين حياته في الآخرة .

﴿ والله على كل شيء قدير ﴾[1] .

والمكذّب بهذا كافر مفتون بعقله القاصر ، أعمى القلب

---

(١) ٢٨٤ ـ البقرة .

والبصيرة ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾[١] .

ومن المعجزات :

ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا . قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب أليم ﴾[٢] .

بعث الله تعالى رسوله صالحاً عليه الصلاة والسلام إلى قومه ، فدعاهم إلى الله تعالى حتى بلغ المشيب ، ولم يتّبعه إلا قليل مستضعفون ، فأخرج لهم الناقة حين سألوه ، من حجر صَلْد ، فكان لها يوم تشرب فيه من ماء الوادي ، ولهم يوم تشرب فيه أنعامهم .

---

(١) ٤٦ ـ الحج .

(٢) ٧٣ ـ الأعراف .

فانبعث أشقاهم ، فجرح الناقة فقتلها .

قال الله تعالى :

﴿ فعقروا الناقة وعتَوْا عن أمر ربهم[١] .

وقالوا : ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين .

فأخذتهم الرجفة[٢] فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾[٣] أي لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر ، أي صاروا خامدين من شدة العذاب .

وفيهم قال الله تعالى :

﴿ إنا مرسلو الناقة فتنةً لهم ، فارتقبهم واصطبر ﴾[٤] .

* * *

(١) أي استكبروا عنه وعصوه .

(٢) أي الزلزلة الشديدة .

(٣) ٧٧ ، ٧٨ ـ الأعراف .

(٤) ٢٧ ـ القمر .

ومن المعجزات الإسراء بنبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كان فتنة للناس ، واختباراً للمؤمنين الصادقين .

جاء في السيرة النبوية الشريفة ، أن النبي ﷺ ، لما أصبح من ليلة الإسراء ، أخبر قومه بخبره .

فقال أبو جهل : يا بني كعب بن لؤي ، هلّموا !

فأقبل عليه كفار قريش ، فأخبرهم رسول الله ﷺ الخبر .

فصاروا بين مصفّق ، وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً ، وارتدّ ناس من ضعفاء الإيمان ، وقال بعضهم :

نحن نضرب أكباد الإبل إليه شهراً صعوداً ، وشهراً هبوطاً ، وأنت تزعم أنك أتيته الليلة ؟!

وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه ، وأخبروه الخبر .

فقال : إن كان قال ذلك فلقد صدق .

قالوا : أتصدقه على ذلك ؟!

قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك .

فسمي رضي الله عنه من ذلك اليوم : صِدّيقاً .

وقال الله تعالى في ذلك :

﴿ **ومـا جعلنـا الرؤيـا التي أرينـاك إلا فتنـة للناس** ﴾ والشجرة الملعونة في القرآن ...

قال ابن عبـاس هي رؤيـا عين ، أُرِيَهـا النبي ﷺ ، ليلـة أُسري به إلى بيت المقدس .

قال : والشجرة الملعونة في القرآن : هي شجرة الزقوم[1] .

ففتنة الإسراء كانت ارتـداد قوم عن الإسلام ، كانوا أسلموا ، فلما أخبرهم النبي ﷺ أنه أسري به ارتدوا .

وأما شجرة الزقوم ، فقـد خوَّف الله بهـا المشركين ، بعـدمـا وصف أهل الجنة ، وما يصيرون إليه من النعيم ، فقال :

﴿ **أذلك خيرٌ نُزُلاً أم شجرة الزقوم ؟**

إنا جعلناها فتنة للظالمين .

---

(١) رواه البخاري والترمذي .

إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾[1] .

والفتنة فيها أنهم لما خُوّفوا بها قال أبو جهل استهزاء :

هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تنبت الشجر ، والنار تأكل الشجر ، وما نعرف الزقوم ، إلا التمر والزبد ، ثم أمر أبو جهل جارية ، فأحضرت تمراً وزبداً ، وقال لأصحابه : تزقموا .

فافتُتِن لهذه المقالة بعض الضعفاء أيضاً .

قال الله تعالى في آخر هذه الآية :

﴿ ونخوّفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا ﴾ .

والفتنة بشجرة الزقوم ، من الفتنة بالسمعيات التي يجب الإيمان بها .

الكرامة :

ويلحق بالمعجزة الكرامة ، وهي أمر خارق للعادة ، يكرم الله تعالى بها من يشاء من عباده الصالحين .

---

(١) ٦٢ ـ ٦٤ ـ الصافات .

منها ما قصه الله علينا في القرآن الكريم :

كقصة أصحاب الكهف ، ورزق السيدة مريم ، وصاحب سليمان الذي عنده علم من الكتاب ، والذي جاء بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه ، وولادة امرأة زكريا عليه السلام وهي عقيم ...

ولا تزال الكرامات تظهر على أيدي الصالحين والصالحات من هذه الأمة ، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا ، إلى ما شاء الله تعالى ، وهي كثرة مستفيضة ، يرويها الأجيال عن الأجيال ، لا يحصيها عدّ ، ولا تقف عند حدٍّ .

وقد يكذّب بها ضعفاء العقول ، والتكذيب بها فتنة في الدين ، وكفرٌ بكتاب الله عز وجل ، وتكذيب بالواقع المشاهد المحسوس .

ومن الاستدراج[1]

١) والاستدراج هو ما يختبر به العبد ، فيتدرج به إلى المعصية أو الكفر أو اعتقاد الباطل ، على التدريج شيئاً فشيئاً ، حتى يقع في العذاب .

فتنة بني إسرائيل بالعجل :

قال الله تعالى :

﴿ وما أعجلك عن قومك ياموسى ؟

قال : هم أولاء على أثري ، وعجلتُ إليك ربِّ لترضى .

قال فإنا قد فتنّا قومك من بعدك ، وأضلهم السامري ﴾[١] .

فلما رجع موسى إلى قومه ، ورأى العجل منصوباً للعبادة ، وله خُوار ، قال مخاطباً ربه :

﴿ إن هي إلا فتنتك[٢] تضل بها[٣] من تشاء ، وتهدي من تشاء ﴾ .

* * *

---

(١) ٨٣ ـ ٩٠ ـ طه .

(٢) أي اختبارك .

(٣) أي بالفتنة .

(٤) ١٥٥ ـ الأعراف .

فتنة الدجال :

ومن الفتنة بالاستدراج فتنة المسيح الدجال .

ففي الحديث الشريف : « أنه يأتي على القوم ، فيدعوهم ، فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتُمطر ، والأرض فتُنبت ... » .

ثم يأتي القوم ، فيدعوهم ، فيردّون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم .

ويمّر بالخَرِبة ـ أي الموضع الخراب ـ فيقول لها :

« أخرجي كنوزك » فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ـ أي كذكورها ـ .

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ـ أي في عنفوان شبابه ـ فيضربه بالسيف ، فيقطعه جِزْلتين ـ أي قطعتين ـ رمْيَة الغَرَض ـ أي يرميه كرمية النِشّاب إلى الهدف ـ ثم يدعوه فيُقبل ، ويتهلل وجهه يضحك[١] ...

---

(١) رواه مسلم .

وفي الحديث الشريف :

إذا تشّهد أحدكم ، فليستعذ بالله من أربع ، يقول :

اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال .

وفتنة المحيا والممات : جميع البلايا والمحن الواقعة في الحياة ، مما يضر ببدن أو دين أو دنيا ، وفي الموت أي قُبَيْله عند الاحتضار ، من تسويل الشيطان الكفر ، وبعد الموت من سؤال الملكين له ، وما ينشأ عنه من الخوف والانزعاج ، وأهوال القبر وشدائده .

* * *

الفتنة بالعلم :

ومن الفتنة بالاستدراج ، الفتنة بالعلم والاغترار به .

فقد يزعم بعض الناس أنهم تعوغلوا في العلوم الشرعية ، ويؤدي بهم غرورهم بما علموا إلى إحلال ما حرْم الله ، وإلى الخروج من شرع الله ، وتضييع أحكام الله ... متبعين في ذلك

أهواءهم وآراءهم ، معرضين عن نصوص الكتاب والسنة ، ومثل هؤلاء يصدق عليهم قول الله تبارك وتعالى :

﴿ أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ..؟ ﴾[1] .

من ذلك :

تكذيب بعضهم بالمعجزات وقولهم : لا معجزة لنبينا محمد ﷺ غير القرآن !

وتكذيب بعضهم بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام بعد رفعه إلى السماء !

وتأويل بعضهم أن الطير الأبابيل التي أهلك الله تعالى بها أصحاب الفيل ، إنما هي جراثيم !

وقول بعضهم : إن الجن الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، إنما هم جراثيم أيضاً !

وقد عموا عن قوله تعالى على لسان الجن :

(١) ٥٣ ـ الجاثية .

﴿ **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولكنْ حقّ القول مني : لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين** ﴾[٢] .

ومن الفتنة بالعلم قول بعضهم بجواز سفور النساء ، وظهورهن في البيوت أمام الضيفان ...

وما إلى هذا من المخزيات التي تطالعنا بها الكتب والمجلات ... ويُفتن بها بعض الناس ، إذ توافق أهواءهم ، ويعتمدون فيها على أقوال هؤلاء المبطلين .

ومن الفتنة بالعلم ، قصور بعض طوائف المسلمين ، وتكفيرهم جماهير المسلمين ، بشُبَهٍ ضعيفة ، لا يقبلون ردَّها بأقوال جهابذة علماء الأمة من السلف والخلف .

---

(١) ١٤ و ١٥ ـ الجن .

(٢) ١٣ ـ السجدة .

الاغترار بعلم الأجنبي :

ومن الفتنة بالاستدراج ، فتنة الأمم الأجنبية الكافرة بعلومها الكونية ، واستخدام قوى الطبيعة بعجائب المخترعات ...

ومن ثَمَّ فتنة بعض المسلمين بهذا التفوق العلمي ، الذي أحرزته الأمم الأجنبية في الشرق والغرب ...

ومن ذلك وصولهم إلى القمر ، ومحاولتهم الوصول إلى كواكب أخرى .

فنقول أولاً : إن هذه العلوم الكونية هي من الفروض التي قصّر فيها المسلمون ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾[1] ...

وهذه العلوم هي من القوة ولا شك ، ولا يتسنى للمسلمين أن يرهبوا أعداءهم ، إلا إذا نافسوهم في هذه العلوم وسبقوهم ..

---

(١) ٦٠ ـ الأنفال .

أما وقد قصّر المسلمون في ذلك ، فلا ينبغي لهم أن يقفوا أمامه مبهوتين ، ولا أن يُفتَنوا به ، فيصرفهم عن دينهم ، ويحسبوا بجهلهم أن الدين هو سبب جمودهم ، وتخلفهم عن السبق في هذه الميادين .

فالله تعالى يقول :

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء ﴾[١] ..؟

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾[٢] ..!

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت ، وإلى السماء كيف رُفعت ، وإلى الجبال كيف نُصبت ، وإلى الأرض كيف سُطحت ﴾[٣] ؟

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ ﴾[٤] .

---

(١) ١٨٥ ـ الأعراف .

(٢) ١٠١ ـ يونس .

(٣) ١٧ ـ ٢٠ ـ الغاشية .

(٤) ٢٠ و ٢١ ـ الذاريات .

وهذا النظر إذا صاحبه علم ودقة تفكير ، انبثقت عنه علوم وفهوم ، ومخترعات ومبتكرات ...

لقد قصّر المسلمون في هذه العلوم ، وفي النظر في عجائب هذا الكون ، فخسروا نتائج هذا النظر ، وما أشد خسارتهم إذا خسروا بعد ذلك الإيمان !

نعم ، قد يقف الإنسان أمام هذه العلوم والمخترعات موقف الدهش والعجب ، لكن لا ينبغي أن يغفل عن أن القرآن الكريم ، يشير على وجه الإجمال إلى ذلك :

قال الله تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذُكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أُوتوا ، أخذناهم بغتة ، فإذا هم مبلسون ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأُملي لهم

---

(١) ٤٤ ـ الأنعام .

إن كيدي متين ﴾[١] .

ينبغي للمؤمن أن لا يغفل أمام هذه العجائب العلمية عن أمرين :

أحدهما ـ أن الإنسان وهو هذا المخلوق الضعيف ، وصل إلى ما وصل إليه ، بشعاع من نور عقل ضئيل ، فكيف بالخالق القوي القدير ، الذي خلق الإنسان وقدّره ، وشق له السمع والبصر ، ومنحه العقل ، وعلّمه ما لم يكن يعلم ؟

أليس هذا دليلاً على عظم الخالق المانح الواهب ؟

والثاني ـ أن من العجب العجيب ، أن يهتدي الإنسان بعلومه إلى هذه المدهشات من أمر الدنيا ، ثم هو لا يهتدي بهذا العقل إلى خالق الكون ومدبره ! والإنسان مهما بلغ من العلم ، وأوتي من القوة ، فلن يستطيع أن يخرج من حدود هذا الكون ، ولا أن يخرج من سلطان الإله القادر القاهر :

﴿ يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا

---

(١) ٤٤ و ٤٥ ـ ن .

من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ﴾[١] .

إن ما وصلت إليه الأمم الأجنبية من العلوم واستخدام قوى الطبيعة ، هو من الاستدراج الذي نحن في صدده .

إن الإنسان إذا بقي نظره قاصراً على هذا العلم الدنيوي ، بما فيه من علويات وسفليات ، وإذا كان همه قاصراً على استكشاف أسراره ومخبآته ، فاستخرج كنوز الأرض ، وحلّق في أجواء الفضاء ، فماذا يأمل من وراء ذلك ؟

لنفرض أن هذا الإنسان الطموح ، وثَّق الصلة بين الأرض ، وبين جميع الكواكب والأجرام ، وأخذ يتنقل بينها ، بأجنحة صناعية ، أو مصاعد كهربائية ، وجمع إلى ثروة الدنيا ، ثروات عثر عليها في هذه الأجرام ، فماذا عسى أن يكون بعد ؟ وهو شقي في غفلته عن الله تعالى ، شقي في كفره به ، شقي في بني جنسه ، يأكل القوي منهم الضعيف ، شقي في آخرته ، لكفره بها وجحوده !

---

(١) ٣٣ ـ الرحمن .

إن من الاستدراج أن يعطي الله تعالى الإنسان في الدنيا ما أراد ، فيشغله به عن آخرته .

﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا ﴾[(١)] .

﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة[(٢)] لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ، ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون وزُخْرُفاً ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين ﴾[(٣)] .

نعم ، ما أحسن هذا الطموح العلمي ، وهذا النبوغ فيه ، إذا كان معه إيمان بالله ، وعمل بدين الله !

---

(١) ١٨ ـ الإسراء .

(٢) أي في الكفر .

(٣) ٣٣ ـ ٣٥ ـ الزخرف .

الفتنة بالسحر :

قال الله تعالى :

﴿ ومـا كفر سليمـان ، ولكنّ الشيـاطين كفروا يعلّمون النـاس السحر ، ومـا أُنزل على الملكين ببـابـل هاروت ومـاروت ومـا يعلمـان من أحـد ، حتى يقولا : إنما نحن فتنـة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما مـا يفرقون به بين المرء زوجه ، ومـا هم بضـارين بـه من أحـد إلا بـإذن الله ، ويتعلمـون مـا يضرهم ولا ينفعهم ، ولقـد علموا لَمَن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ﴾[1] ...

فـالسحر لـه تـأثير في القلـوب بـالحب والبغض ، وبـإلقـاء الشرور ، حتى يفرّق الساحر بين الرجل وزوجته ، ويحول بين المرء وقلبه ، وذلك بإدخـال الآلام وعظيم الأسقـام ، وكل ذلـك مدرَك بالمشاهـدة ، وهو من العجـائب الخـارقـة للعـادة ، وقـد يكون سبب فتنـة للضعفـاء من النـاس ، فيظنـون في السـاحر القـدرة ابتـداءً على فعل مـا يفعل ، وليس كـذلـك . قـال الله

(١) ١٠٢ ـ البقرة .

تعالى في الآية السابقة :

﴿ **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ ...

والسحر معصية من الكبائر المهلكات .

ففي الحديث الشريف :

« اجتنبوا السبع الموبقات ـ أي المهلكات ـ

قالوا : يا رسول الله وما هن ؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »[١] .

الفرق بين المعجزة والسحر :

الفرق بين المعجزة والسحر : أن السحر يوجد من الساحر وغيره ممن له معرفة بالسحر ، وقد يكون جماعة يعرفونه ، ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

ولهذا قال فرعون مصر لسحرته - والمصريون أئمة السحر وأساطينه - حينما غلبتهم معجزة موسى عليه الصلاة والسلام :

﴿ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾[1] ...

والمعجزة لا يمكّن الله تعالى أحداً أن يأتي بمثلها وبمعارضتها .

ثم الساحر لم يدّعِ النبوة ، فالذي يصدر منه متميز عن المعجزة ، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة ، والتحدي بها .

الفتنة بالناس :

وقد يفتن الناس بعضهم بعضاً عن الإيمان ، ويصرف بعضهم بعضاً عن الحق ، ويُردي بعضهم بعضاً في الباطل ... إما بالسيطرة والقوة والقهر ، وإما بالإغواء والإغراء والأماني ...

قال الله تعالى :

﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف

---

(١) ٧١ - طه .

من فرعـون وملئهم أن يفتنهم ﴾[١] ... أي يصرفهم عن دينهم بالأذى والعذاب .

* * *

وقال تعالى :

﴿ إن الـذين فتنـوا المـؤمنين والمـؤمنـات ، ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق ﴾[٢] .

فتنوا المؤمنين والمؤمنات : أي حرّقوهم بالنار ، ليفتنوهم عن الإيمان بالله تعالى وحدة .

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك :

إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر .

فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر ، وكان في طريقه إذا سلك

(١) ٨٣ ـ يونس .
(٢)١٠ ـ البروج .

راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه ، فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر ، مر بالراهب ، وقعد إليه ، فإذا أتي الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال :

إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي - أي أخّروني -

وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو على ذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة ، قد حبست الناس ، فقال :

اليوم أعلم الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ؟

فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس .

فرماها فقتلها ، ومضى الناس .

فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب :

أي بنيّ : أنت اليوم أفضل مني ، وقد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبتلى ، فإن ابتُليتَ فلا تدل علي .

وكان الغلام يبرىء الأكمه ـ الذي ولد أعمى ـ والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء .

فسمع جليس للملك ، كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال :

ما هٰهنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني .

فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله تعالى ، دعوتُ الله فشفاك .

فآمن بالله تعالى ، فشفاه الله تعالى .

فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك :

من ردّ عليك بصرك ؟

قال : ربي .

قال : أو لك رب غيري ؟

قال : ربي وربك الله .

فأخذه فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الغلام .

فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بُنيّ ، قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل !

فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي الله تعالى .

فأخذه فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الراهب .

فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوُضع المنشار في مفرق رأسه - أي في وسطه - فشقه حتى وقع شقاه .

ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع شقاه .

ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه .

فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال :

اللهم اكفنيهم بما شئت .

فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك .

فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

فقال : كفانيهم الله .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به فاحملوه في قُرْقور - أي زورق - وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاقذفوه .

فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت .

فانكفأت بهم السفينة - أي انقلبت - فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك .

فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله تعالى .

فقال للملك : أنت لست بقاتلي ، حتى تفعل ما آمرك به .

قال : ما هو ؟

قال : تجمع الناس في صعيد واحد - أي أرض بارزة - وتصلبني على جذع شجرة ، ثم خذ سهماً من كِنانتي ، - أي بيت سهامي - ثم ضع السهم في كبد القوس - أي وسطه - ثم قل :

بسم الله رب الغلام .

ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .

فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال :

بسم الله رب الغلام .

ثم رماه ، فوقع السهم في صُدْغه ، فمات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام .

فأُتي الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس .

فأمر بالأخدود بأفواه السكك - أي بشقوق عظيمة في الأرض - فخُدّت - أي فشُقّت - وأضرم فيها النيران وقال :

من لم يرجع عن دينه ، فأقحموه ـ أي ألقوه ـ فيها ، أو قيل له : اقتحمْ .

ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها .

فقال لها الغلام : يا أمَّهْ ، اصبري فإنك على الحق[١] .

قال العلماء رضي الله عنهم : إن الله عز وجل ، أعلم المؤمنين في هذه الآية ، ما كان يلقاه من وحَّد قبلهم من الشدائد ، يؤنسهم بذلك ، وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ، ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام ، والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسَّوا بمثل هذا الغلام ، في صبره وثباته على الحق ، وتمسكه به ، وبذل نفسه في سبيل إظهار دعوته ، ودخول الناس في الدين الحق ، مع صغر سنه وعظم صبره .

وكذلك الراهب ، صبر على الحق ، حتى نُشر بالمنشار .

وكذلك كثير من الناس ، لما آمنوا بالله تعالى ، ورسخ

(١) رواه مسلم .

الإيمان في قلوبهم ، صبروا على الطرح في النار ، ولم يرجعوا عن دينهم .

ولقد صبر السابقون الأولون إلى الإسلام ، على أذى كثير ، وشر مستطير ، ولم يفتنهم ذلـــك عن دينهم ، حتى نصرهم الله تعالى ، وأعز دينه .

قال مجاهد : أول من أظهر الإسلام سبعة :

رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال ، وخبّاب ، وصهيب ، وعمار ، وسمية أم عمار .

فأما رسول الله ﷺ ، فمنعه ـ أي منع عنه الأذى ـ أبو طالب ، وأما أبو بكر فمنعه قومه .

وأما الآخرون ، فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدراع الحديد ، ثم صهروهم في الشمس ، حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ ، من حر الحديد والشمس .

فلما كان العشي ، أتاهم أبو جهل ومعه حربة ، فجعل يسبهم ويوبخهم ، وأتى سمية ، فجعل يسبها ويفحش لها في

القول ، ثم طعنها بـالحربـة ، فقتلهـا رضي الله عنهـا ، فهي أول شهيد في الإسلام .

وقال بعضهم مـا سُئلوا من كلمـة الكفر ، إلا بلالاً رضي الله عنـه ، فـإنـه هـانت عليـه نفســه في الله ، فجعلـوا يعـذبـونـه ، ويقولون له :

ارجع عن دينك .

وهو يقول : أحد ، أحـد . حتى ملّوه ، ثم كتفوه ، وجعلوا في عنقـه حبلاً من ليف ، ودفعوه إلى صبيـانهم يلعبـون بـه بين جبلْي مكـة ، حتى ملّوه وتركوه ، أوحتى اشتراه أبـو بكر رضي الله عنه فأعتقه .

وروي عن مجاهد : أن نـاسـاً من أهل مكـة آمنوا ، فكتب إليهم بعض أصحاب محمد ﷺ بالمدينة :

أن هاجروا إلينا ، فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا .

فخرجـوا يريــدون المــدينـــة ، حتى أدركتهم قريش بــالطريـق ، ففتنـوهم ، فكفروا مكرهين ، ففيهم نـزل قـولــه تعالى :

﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه - إلا أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ ومن الناس من يقول : آمنا بالله فإذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾[٢] .

نزلت هذه الآية الكريمة في المنافقين ، كانوا يقولون : « آمنا بالله » فإذا آذاهم الناس وفتنوهم عن دينهم ، جعلوا أذى الناس وفتنتهم كعذاب الله في الآخرة ، فارتدوا عن دينهم ، ولم يصبروا على الأذيّة في الله .

وقال مجاهد : نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله ، أو مصيبة في أنفسهم افُتتنوا .

وقال عكرمة : كان قوم قد أسلموا بمكة ، فأكرههم المشركون على الخروج معهم إلى بدر ، فقُتل بعضهم ، فأنزل الله تعالى :

---

(١) ١٠٦ ـ النحل .

(٢) ١٠ ـ العنكبوت .

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيمَ كنتم ؟

قالوا : كنا مستضعفين في الأرض .

قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟

فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا ﴾[1] .

فكتب بها المسلمون من المدينة ، إلى المسلمين بمكة ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فافتُتن بعضهم ، فنزلت هذه الآية فيهم .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

واقتلوهم حيث ثقفتموهم[2] وأخرجوهم من حيث

(١) ٩٧ ـ النساء .

(٢) أي وجدتموهم .

أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ﴾[1] ...

أي أن الفتنة التي حملوكم عليها ، ورامـوا رجوعكم بها إلى الكفر ، أشد من القتل .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين .

وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ، ليقولوا :

أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ؟!

أليس الله بأعلم بالشاكرين ؟ ﴾[2] .

جاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعُيينة بن حصن

(١) ١٩٠ ـ ١٩١ ـ البقرة .

(٢) ٥٢ و ٥٣ ـ الأنعام .

الفَزاري ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخبّاب ، قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين ، فلما رأوهم حول رسول الله ﷺ ، حقروهم ، فأتوه فخَلوْا به وقالوا :

إنا نريد أن تجعل لنا مجلساً ، تعرف لنا به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك ، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد ، فإذا نحن جئناك ، فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا ، فاجلس معهم إن شئت .

قال سعد : فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع ـ أي من موافقتهم على ما طلبوا حرصاً على هدايتهم ـ فقال : نعم .

قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا .

قال : فدعا بصحيفة ، ودعا علياً رضي الله عنه ليكتب ، ونحن قعود في ناحية .

فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام ، فقال :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ... ﴾

إلى أن قال : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** ﴾ ... الآية .

ثم قال : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ...** ﴾ .

قال : فدنونا منه ، حتى وضعنا رُكبَنَا على ركبته ، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا .

قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها ، قمنا وتركناه حتى يقوم[١] .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا** ﴾[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) ٢٠ ـ الفرقان .

فالدنيا دار ابتلاء وامتحان ، أراد الله تعالى بحكمته أن يجعل الصحيح من الناس فتنة للمريض ، والغني فتنة للفقير ، والفقير الصابر فتنة للغني ...

ومعنى هذا أن كل واحد مختبَرَ بصاحبه :

فالغني ممتحَن بالفقير ، عليه أن يواسيه، ولا يسخر منه .

والفقير ممتحن بالغني ، عليه أن لا يحسده ، ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه ، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق .

فأصحاب البلايا يقولون : لِمَ لم نُعافَ ؟

والأعمى يقول : لِمَ أُجعل كالبصير ؟

وهكذا صاحب كل آفة .

والرسول المخصوص بكرامة النبوة ، فتنة لأشراف الناس من الكافرين في عصره ، وكذلك العلماء وحكام العدل ، ألا ترى إلى قولهم :

﴿ لولا نُزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾[1] !

---

(١) ٣١ ـ الزخرف .

والقريتان هما : مكة والطائف .

والرجلان هما : الوليد بن المغيرة ، عم أبي جهل من مكة .

وأبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي ، من الطائف .

كان الوليد بن المغيرة يسمى : « ريحانة قريش » ، فكان يقول :

لو كان ما يقول محمد حقاً ، لنزل علي ، أو على أبي مسعود .

فقال الله تعالى : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك ؟**

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾[١] ...

أي أفقرنا قوماً ، وأغنينا قوماً ، فإذا لم يكن أمر الدنيا إليهم ، فكيف يفوّض أمر النبوة إليهم ؟!

فمن فتنة الناس بعضهم ببعض في الدنيا ، أن يحسد المبتلى المعافى ، ويحقر المعافى المبتلى ، ويحسد المحروم صاحب النعمة ...

---

(١) ٣٢ ـ الزخرف .

والصبر : أن يحبس كلاهما نفســه ، هـذا عن البطر ، وذاك عن الضجر .

* * *

وقال بعض المفسرون في قوله تعالى :

﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ... ﴾[١] .

قالوا : إن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام ، والوليد ابن المغيرة ، والعـاص بن وائـل ، وعقبـة بن أبي مُعَيـط ، وعتبـة ابن ربيعة ، والنضر بن الحـارث ... حين رأوا أبـا ذر ، وعبـد الله ابن مسعـود ، وعمـاراً ، وبـلالاً ، وصهيبـاً ، وعـامر بن فُهيْرة ، وسالماً مولى أبي حذيفة ، ومِهْجَعاً مولى عمر بـن الخطـاب ، وجبراً مولى الحضرمي ، وذويهم ... فقالوا على سبيل الاستهزاء :

أنُسلم فنكون مثل هؤلاء ؟

فأنزل الله تعالى يخاطب هؤلاء المؤمنين :

---

(١) ٢٠ ـ الفرقان .

﴿ **أتصبرون ؟** ﴾ أي على مـــا ترون من هـــذه الحـــال الشديدة والفقر .

فكأنــه جعـل إمهـال الكافرين ، والتـوسعـة عليهم فتنـة للمؤمنين ، اختباراً لهم ، ولما صبر المسلمون ، أنزل الله فيهم :

﴿ **إني جـزيتهم اليـوم بمـــا صبروا ، أنهم هم الفائزون** ﴾[1] .

ومما قيل في قوله تعالى :

﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ...** ﴾ .

أنها نزلت في ابتلاء الشريف بـالوضيع ، وذلـك أن الرجل الشريف إذا أراد أن يُسلم ، رأى الوضيع قد أسلم قبله ، فأنِف ، وقال :

أُسلم بعده ، فيكون له فضل السابقة عليّ ؟

فيقيم على كفره ، ويمتنع من الإسلام .

---

(١) ١١١ ـ المؤمنون .

فذلك افتتان بعضهم ببعض .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾[١] .

أي خالف بين أحوال عباده ، فجعل بعضهم فوق بعض ، في الخلق والرزق ، والشرف والعقل ، والقوة والفضل ، فجعل منهم الحَسن والقبيح ، والغني والفقير ، والشريف والوضيع ، والعالم والجاهل ، والقوي والضعيف ...

وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ، ليس عن عجز ، ولا جهل ولا بخل ، فإن الله تعالى منزّه عن ذلك ، وإنما ذلك للابتلاء والامتحان .

وقد بيّن الله تعالى ذلك في آخر الآية فقال :

﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ... ﴾ .

---

(١) ١٦٥ ـ الأنعام .

أي ليبتلي الغني في غناه ، والفقير في فقره ... وهكذا ليظهر من الخلق ما يكون عليه الثواب والعقاب .

جفاء المخالفين :

ومن الفتنة بالناس ما تُبتَلى به الطبقة الصالحة في كل عصر ، بسبب استقامتها وصلاحها ، واتجاهها الصالح ، من جفاء الآباء والأمهات ، والأخوة والأخوات ، والأقارب والأصحاب ...

يعيبون عليهم تمسكهم بدينهم ، وإحلال ما أحل ، وتحريم ما حرّم ، ولزومهم سبيل الاستقامة ، وتحليهم بالتقوى واتباعهم للسنن ...

ويحاولون أن يصدوهم عما هم عليه ، ويصرفوهم عن الاستقامة .

ويختلف هذا الابتلاء قوة وضعفاً ، وليناً وعنفاً .

ففي الحديث الشريف : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم

الأمثل فالأمثل[١] ، يُبتَلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد ، حتى يتركه يمشي على الأرض ، وما عليه خطيئة[٢] » .

وحسب هذه الطبقة الصالحة ، أن تعرف عظيم نعمة الله عليها بالهدى ، وتعلم أن ما تلقاه من عتب الناس ولوم الناس ، مرحلة ابتلاء لابد منها ، ولابد من الصبر عليها حتى تنقضي ، وأن لها أسوة حسنة بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وبالسابقين الأولين إلى الإسلام .

وحسبها أيضاً شعورها بأنها في عافية ، والناس في بلاء .

وأنها بالتقوى والاستقامة تنال رضى ربها عز وجل ، ومن حظي برضا الله ، فماذا يضره سخط الناس ؟

وفي الحديث الشريف :

« من أرضى الناس بسخط الله ، وكَلَه الله إلى الناس ، ومن

(١) أي الأشرف فالأشرف ، والأعلى فالأعلى .

(٢) رواه الإمام احمد والبخاري وغيرهما .

أسخط الناس برضا الله ، كفاه الله مئونة الناس »[١] .

فعلى المؤمن الموفق السعيد ، الذي أرضى ربه عز وجل ، أن يتمثل بقول القائل :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب تراب

الفتنة بالتقليد :

ومن الفتنة بالناس فتنة كثير من المسلمين بتقليد الكافرين ، في معتقداتهم وأعمالهم وأزيائهم ...

ففي الحديث الشريف :

« لتتبعُنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه .

قالوا : آليهود والنصارى ؟

قال : فمن[٢] ؟ » ـ أي فمن غيرهم ؟ ـ

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

فكم في المسلمين اليوم من كفر بدينه الحق ، لما رأى الأجنبي كفر بدينه الباطل !

وكم في المسلمين اليوم من تشبّه بالكافرين في كثير من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ومظاهرهم !

قال الله تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ :

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ، فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾(١) .

أمره الله تعالى باتباع ما شرَّع له ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون .

ويدخل في **﴿ الذين لا يعلمون ﴾** كل من خالف شريعته ، ويدخل في « أهوائهم » كل ما يهوونه ، وكل ما عليه الكافرون من دينهم الباطل .

* * *

(١) ١٨ ـ الجاثية .

وقال الله تعالى :

﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾[١] ؟

وفي قوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا ﴾ نهي مطلق عن مشابهتهم ، وهو خاص أيضاً في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من آفات المعاصي .

فالبعد عن التشبه بالكافرين في شيء من أقوالهم وأفعالهم ومظاهرهم وأهوائهم ... من المقاصد والغايات التي جاء بها الإسلام .

وقديماً قالت اليهود في النبي ﷺ :

ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه .

* * *

(١) ١٦ ـ الحديد .

ولما شاور النبي ﷺ أصحابه فيما يجمع به الناس للصلاة ، قالوا :

انصب راية عند حضور الصلاة ، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً ، فلم يعجبه ذلك .

وذُكر له البوق ، فلم يعجبه ذلك ، وقال :

هو من أمر اليهود .

وذُكر له الناقوس ، فقال :

هو من أمر النصارى .

وانصرف عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، وهو مهتم لهمّ رسول الله ﷺ ، فأُري الأذان في منامه[١] .

ونهى النبي ﷺ عن الصلاة حين تطلع الشمس ، حتى ترتفع ، وقال : حينئذ يسجد لها الكفار .

ونهى عن الصلاة حين تغرب الشمس ، وقال :

---

(١) رواه أبو داود .

حينئذ يسجد لها الكفار[١] .

ونهى النبي ﷺ عن الاشتمال بالثوب في الصلاة ، فقال :

ولا تشتملوا كاشتمال اليهود[٢] .

ونهى النبي ﷺ رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة فقال :

إنها صلاة اليهود[٣] .

وفي رواية : لا تجلس هكذا ، إنما هذه جلسة اللذين يعذّبون[٤] .

وقد سنّ النبي ﷺ للصائم طعام السحور ، وقال :

فصلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر[٥] .

وصام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، فلما

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البيهقي .

(٣) رواه الحاكم .

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه مسلم .

رأى اليهود والنصارى تعظم هذا اليوم قال :

لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع ـ أي مع العاشر ـ

وفي الحديث الشريف :

« خالفوا المشركين : احفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى »[١] .

« جُزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس »[٢] .

« لا تسلِّموا تسليم اليهود ، فإن تسليمهم بالرءوس والأكف والإشارة »[٣] .

« نظِّفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود »[٤] ...

« من تشبَّه بقوم فهو منهم »[٥] . .

ثبت بهذا كله أن مخالفة الكفار ، وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا ، فعلى المسلمين رجالاً ونساءً

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه النسائي .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) رواه أبو داود .

أن يراعوا ذلك في شئونهم كلها .

ولا تظنَّنَّ أن هذه المخالفة أمر تعبّدي محض ، لا ، بل هو معقول المعنى واضح الحكمة . فقد قال العلماء رضي الله عنهم :

إن بين الظاهر والباطن ارتباطاً لا شك فيه ، وإن للظاهر في الباطن تأثيراً ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وإن كان ذلك مما قد لا يشعر به الإنسان في نفسه ، ولكن قد يراه في غيره .

وذلك مما يشهد به الحس والتجربة ، حتى أن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ، ثم اجتمعا في دار غربة ، كان بينهما من المودة والموالاة والائتلاف أمر عظيم .

فلينتبه لهذا المسلمون اليوم ، وليحذروا تقليد الكافرين في شأن من شئونهم ، وليعملوا على إحياء سنن نبيهم ﷺ .

ففي الحديث الشريف :

« من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة »[١] .

---

(١) رواه الترمذي .

المسلم يعتز بالإسلام :

إن المسلم الحق يعتز بإسلامه ، ويفخر بإيمانه ، ويتمسك بدين الله وسنة رسول الله ، ويشعر بعظيم نعمة الله ، فيما هداه إليه ، ويربأ بنفسه أن يكون تبعاً لغيره في مظهر من مظاهره ، أو في عمل من أعماله ...

كيف لا وقد أنعم الله عليه ، بالقدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة في شخص رسوله الكريم ﷺ ؟

قال الله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا ﴾[١] .

الفتنة بالخير والشر :

قال الله تعالى :

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا

---

(١) ٢١ ـ الأحزاب .

ترجعون ﴾[١] .

أي ونختبركم بـالشـدة والرخـاء ، والصحـة والسقم ، والغني والفقر ، ومـا تحبون ومـا تكرهـون ... لننظر كيف شكركم فيما تحبون ؟ وكيف صبركم فيما تكرهون ؟

ـ وإلينا ترجعون : للجزاء بالأعمال خيرها وشرها .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ ومن النـاس من يعبـد الله على حرف ، فـإن أصابه خير اطمأنّ بـه ، وإن أصـابتـه فتنـة انقلب على وجهـه ، خسر الـدنيـا والآخرة ، ذلـك هـو الخسران المبين ﴾[٢] .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه :

أسلم رجـل من اليهـود ، فـذهب بصره ومـالـه ، فتشـاءم

---

(١) ٣٠ ـ الأنبياء .

(٢) ١١ ـ الحج .

بالإسلام ، فأتى النبي ﷺ ، فقال : أقِلني !

فقال : إن الإسلام لا يُقال .

فقال : إني لم أُصبْ في ديني هذا خيراً ، ذهب بصري ومالي وولدي .

فقال : يا يهودي ، إن الإسلام يسبْك الرجال كما تسبْك النار خبَث الحديد والفضة والذهب .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف ...** ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

كان الرجل يقْدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ، ونُتِجتْ خيله ، قال : هذا دين صالح ، فإن لم تلد امرأته ، ولم تُنْتَج خيله قال : دين سَوْء .

وقال المفسرون : نزلت هذه الآية في قوم من الأعراب ، كانوا يَقْدِمون المدينة ، مهاجرين من باديتهم ، فكان أحدهم إذا قدم المدينة ، فصحّ بها جسمه ، ونتجت بها فرسه مُهراً ،

وَولدت امرأته غلاماً ، وكثر ماله ، قال :

هذا دين حسن ، وقد أصبت فيه خيراً ، واطمأن لـه ، وإن أصابه مرض ، وولدت امرأتـه جـاريـة ، ولم تلـد فرسـه ، وقلّ ماله ، قـال : مـا أصبت منـذ دخلت في هـذا الـدين إلا شراً ، فينقلب عن دينه ، وذلك هو الفتنة .

ومعنى قوله على حَرْف : على وجه واحـد ، وهو أن يعبـده على السراء دون الضراء ، ولـو عبـد الله على الشكر في السراء ، والصبر على الضراء ، لما عبده على حرف واحد .

وقال بعضهم : معنى على حرف : على شرط .

وذلك أن شيبة بن ربيعـة قـال للنبي ﷺ ، قبل أن يظهر أمره :

ادعُ لي ربـك أن يرزقني مـالاً وإبلاً وخيـلاً وولـداً ، حتى أومن بك ، وأعد إلى دينك .

فدعا له ، فرزقه الله عز وجل ما تمنى .

ثم أراد الله تعالى فتنته واختباره ـ وهو أعلم به ـ فأخذ منـه

ما كان رزقه به بعد أن أسلم ، فـارتـدَ عن الإسلام ، فـأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية .

وبيّن هذا بقوله : ﴿ **فإن أصابه خير اطمأنّ به** ﴾ .

أي إن أصابه صحة جسم ، ورخاء معيشة ، رضي وأقام على دينه .

وإن أصابته فتنة : أي خلاف ذلك مما يختبر به .

انقلب على وجهه : أي ارتدّ فرجع إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر .

* * *

وقال تعالى في المنافقين :

﴿ **أولا يرون أنهم يُفتتنون في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ، ولا هم يذّكرون** ﴾[١] .

يُفتتنون : أي يُختبرون بالقحط والشدة ، وبالأمراض

(١) ١٢٦ ـ التوبة .

والأوجاع ، وبالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ، فيتخلفون فيفتضحون بإظهار نفاقهم ، ويرون ما وعد الله به نبيه ﷺ والمؤمنين من النصر .

* * *

وقال الله تعالى :

﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه ، فيقول : ربي أكرمنِ ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول : ربي أهاننِ ﴾[١] .

أي يظن الإنسان بجهله أن الكرامة بكثرة المال في الدنيا ، وأن الهوان بقلته ، فرد الله على ذلك فقال :

﴿ **كلا** ﴾ لم أبتلهِ بالغنى لكرامته ، ولم أبتله بالفقر لهوانه ، فالإكرام والإهانة لا يدوران على سعة الرزق وقلتّه ، ولكن الغنى والفقر ، بتقدير الله جل جلاله وحكمته ، فقد يوسع على الكافر أو العاصي لا لكرامته ، ويضيق على المؤمن أو الطائع لا

---

(١) ١٥ ـ ١٦ ـ الفجر .

لهوانه ، لكن للاختبار ، وإنما يكرم الله المرء بطاعته ، ويهينه بمعصيته .

وقد يعطي الله تعالى الإنسان في الدنيا ما يحب ، ليختبره أيشكر أم يكفر ؟ وقد يقدّر عليه ما يكره ، ليختبره أيصبر أم يضجر ؟

قال الله تعالى :

﴿ ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا :

إنا لله وإنا إليه راجعون .

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون ﴾[١] .

أخبر الله تعالى أنه مبتلٍ عباده بما ذكر ، لإظهار الطائع من العاصي ، والمؤمن من الكافر ، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به ،

---

(١) ١٥٥ و ١٥٦ ـ البقرة .

فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل كونها وحدوثها .

ومن الحكمة في تعريف الله تعالى إيانا بهذا الابتلاء ، هي أن العبد إذا علم أنه مبتلى بشيء ، وطّن نفسه على الصبر ، فإذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع .

* * *

الفتنة بالملك والجاه والمظاهر :

قال الله تعالى في فرعون :

﴿ ونادى فرعون في قومه فقال :

يا قوم أليس لي ملك مصر ، وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟ أفلا تبصرون ؟ ﴾[1] .

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى كسرى ملك الفرس ، يدعوه فيه إلى الإسلام ، فلما وصل إليه الكتاب ، مزّقه استكباراً .

---

(١) ٥١ ـ الزخرف .

ولما بلغ النبي ﷺ خبره قال :

« مزّق الله ملكه كل ممزّق » .

واستجيبت دعوة النبي ﷺ ، فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً .

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى هرقل ملك الروم كذلك ، فلما وصل إليه الكتاب ، قال :

انظروا لنا أحداً من قومه نسأله عنه .

فجيء إليه بأبي سفيان ـ وذلك قبل إسلامه ـ مع رجال من قريش ، فسأله هرقل عن أمور كثيرة ، وأجابه أبو سفيان ، وتحقّق نبوة رسول الله ﷺ ، ثم صدّه الملك عن اتباعه ، حين لم يطاوعه عظماء الروم في اتباع الرسول ﷺ .

* * *

وفي الحديث الشريف :

« بينما رجل يمشي في حُلَّة ، تعجبه نفسه ، مُرَجِلٌ رأسه ، يختال في مشيته ، إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض

إلى يوم القيامة »[١] .

أي يغوص فيها وينزل .

وفي حديث آخر :

« لا يزال الرجل يذهب بنفسه ـ أي يرتفع ويتكبَّر ـ حتى يُكتَب في الجبارين ، فيصيبه ما أصابهم »[٢] .

* * *

وقال تعالى في وصف المنافقين :

﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾[٣] ...

* * *

ومر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس :

ما رأيك في هذا !

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) ٤ ـ المنافقون .

فقـال : رجـل من أشراف النـاس ، هـذا والله حَرِيّ ـ أي جـدير ـ إن خطب أن يُنكـح ـ أي يُـزوَّج ـ وإن شفـع أن يشفَّع .

فسكت رسول الله ﷺ ، ثم مر رجـل آخر ، فقـال رسـول الله ﷺ :

ما رأيك في هذا ؟

فقال : يا رسول الله ، هـذا رجل من فقراء المسلمين ، هـذا حريّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفـع أن لا يشفـع ، وإن قال أن لا يُسمع لقوله .

فقال رسول الله ﷺ :

هذا خير من ملء الأرض مثلَ هذا[١] .

وفي الحديث الشريف :

« إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة ، لا يزن عنـد

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

الله جناح بعوضة[١] .

* * *

وكم في الناس من يفتنه الملك ، فيظلم ويطغى ، ويفتك ويبطش ، ويأكل أموال الناس بالباطل ... فلا يطول به زمن حتى تدول دولته ، وتذهب صولته ، ويصير إلى ذل وهوان ، بعد عز وجاه وملك !

وإذا امتد به زمن ، واستدرجه الله من حيث لا يعلم ، ومدّه الله في الضلالة ... صار إلى أجله المحتوم ، فانتقل من بهجة القصر ، إلى ظلمة القبر .

ففي الحديث الشريف :

« إن الله ليُملي للظالم - أي يمهله - فإذا أخذه لم يُفلته .

ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذَ القرى وهي ظالمة ، إن

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

أخذَه أليم شديد ﴾[١] .

وكم في النـاس من تفتنـه المظـاهر ، فيتعـالى على النـاس في مـأكلـه ومشربـه وملبسـه ومسكنـه ومركبـه ... فيسلبـه الله النعمة ، ويُنزل به النقمة ، فيرى أن مـا كان فيـه غرور واهم ، وحلم حالم !

الفتنة بالأموال والأولاد والنعم :

قال الله تعالى :

﴿ فـإذا مس الإنسـان ضر دعـانـا ، ثم إذا خـوّلنـاه نعمة منا قال : إنمـا أُوتيتـه على علم ، بل هي فتنـة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾[٢] .

فقوله تعالى : **﴿ بل هي فتنة ﴾** .

يعني النعم التي أُوتيها الإنسان ، هي فتنـة لـه ، يُختبر بهـا ويُمتحن .

* * *

(١) ١٠٢ ـ هود.. رواه البخاري ومسلم .

(٢) ٤٩ ـ الزمر .

وقال الله تعالى :

﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم** ﴾[١] .

فالأموال والأولاد ، فتنة وبلاء واختبار ، إذ قد تحمل الناس على كسب المحَرَم ، ومنع حق الله تعالى ، فينبغي الحذر من ذلك .

* * *

وإنما كانت الأموال والأولاد فتنة ، لأن الإنسان لا يخلو من اشتغال القلب بالأموال والأولاد .

عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه رضي الله عنهما ، أنه قال :

رأيت النبي ﷺ يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثُران ، فنزل صلى الله عليه وسلم ، فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال :

صدق الله عز وجل : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ .

---

(١) ١٥ ـ التغابن .

نظرت إلى هـذين الصبيين يمشيان ويعثُران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما[١] .

وقال الشاعر :

وإنمـا أولادنـا أكبادنـا تمشي على الأرضِ
إذا هبت الريح على بعضهم امتنعت عيني من الغمضِ

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :

لا يقولن أحدكم : اللهم اعصمني من الفتنة .

فإنه ليس أحـد منكم يرجع إلى مـال وأهل وولـد ، إلا وهو مشتمل على فتنة ، ولكن ليقل :

اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن .

* * *

وفي قصـة الخضر ومـوسى عليهما الصـلاة والسـلام ، قـولـه تعالى :

---

(١) رواه الترمذي وغيره .

﴿ فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾(١) ...

ولما أراد أن يفارقه ، بيّن له علة قتله ، فقال :

﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين ، فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحما ﴾(٢) .

إلى أن قال : ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾(٣) .

فذكر أن قتله الغلامِ ، كان بأمر الله عز وجل وإلهامه ، خشية أن يفتن أبويه المؤمنَيْن ، وأن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه .

قال المفسرون : إن الغلام الذي قُتل ، فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قُتل ، ولو بقي لكان فيه هلاكهما ، فليرض العبد بقضاء الله تعالى ، فإن قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره ، خير له من قضائه فيما يحب .

* * *

---

(١) ٧٤ ـ الكهف .

(٢) ٨٠ و ٨١ ـ الكهف .

(٣) ٨٢ ـ الكهف .

فليعتبر المسلمون اليوم بهذا !

فكم فيهم من فُتن بأولاده ، فأقرهم على ترك الطاعات ، وسكت عنهم في فعل المعاصي والمخالفات ، بل واتجه معهم في مذاهب كفر وضلال !

وكم فيهم من فُتن ببناته ، فخرجن سافرات عاريات ، وأقرهن على الانطلاق من قيود الحلال والحرام ، وانساق معهن في تيارات المعاصي والآثام !...

* * *

ما وقع لحاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه :

ومن الفتنة بالأموال والأولاد ، ما وقع لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، في عهد رسول الله ﷺ ، وعوتب عليه في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تُلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم

من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم ، أن تؤمنوا بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تُسِرّون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل .

إن يَثقَفوكم[١] يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودّوا لو تكفرون .

لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير ﴾[٢] .

عن علي كرم الله وجهه أنه قال :

بعثنا رسول الله ﷺ ، أنا والزبير والمقداد ، فقال :

ائتوا روضة خاخ - موضع بين مكة والمدينة - فإن بها ظعينة - امرأة مسافرة في هودج - معها كتاب ، فخذوه منها .

فانطلقا تَعادَى بنا خيلنا ، فإذا نحن بالمرأة .

---

(١) أي يلقَوكم ويظفروا بكم ويتمكنوا منكم .

(٢) ١ - ٣ الممتحنة .

فقلنا : أخرجي الكتاب .

فقالت : ما معي كتاب .

فقلنا : لتُخرِجنَّ الكتاب ، أو لنُلقِيَنَّ الثياب .

فأخرجته من عِقاصها ـ أي ضفائرها ، جمع عَقيصة أو عِقْصة ـ فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه :

من حاطب بن أبي بلتعة ، إلى ناس من المشركين من أهل مكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، من سيره إليهم حين نقضوا العهد بعد صلح الحديبية ، وكان مما فيه :

أما بعد ، فإن رسول الله ﷺ ، قد توجه إليكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل ، وأقسِم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده ، لأظفره الله بكم ، وأنجز له موعده فيكم ، فإن الله وليه وناصره .

فقال رسول الله ﷺ : ما هذا ؟

قال : لا تعجل عليَّ يا رسول الله ، إني كنت أمرأً ملصَقاً في قريش ـ أي كان حليفاً لهم ، ولم يكن من أنفسها ـ وكان

ممن معك من المهاجرين ، لهم قرابات ، يحمون بها أهليهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب ، أن أتخذ فيهم يداً - أي صنيعة - يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال النبي ﷺ : صدق .

فقال عمر رضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق .

فقال : إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال :

اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ؟

فأنزل الله عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾[١] ...

---

(١) رواه مسلم .

ما وقع لأبي لُبابة رضي الله عنه :

ومن الفتنة بالأموال والأولاد ، ما وقع لأبي لبابة رضي الله عنه :

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تخونوا الله والرسول ، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم ﴾[١] .

لما رأى بنو قريظة من اليهود ، أنهم غدروا بالمسلمين يوم الأحزاب في غزوة الخندق ، تحصنوا بحصونهم بعد انصراف الأحزاب ، فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة ، ولما رأوا أن لا مناص من الحرب ، وأنهم إن استمروا على الحصار ماتوا جوعاً ، طلبوا من المسلمين ، أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير ، من الجلاء بالأموال ، وترك السلاح .

---

(١) ٢٧ و٢٨ ـ الأنفال .

فلم يقبل الرسول ﷺ ، فطلبوا أن يُجلوا بـأنفسهم من غير أموال ولا سلاح .

فلم يرض أيضاً ، وقـال : لابـد من النزول والرضـا بمـا يحكم عليهم خيراً كان أو شراً .

فقالوا له : أرسل لنا أبا لبابة نستشيره .

وكان أبـو لبابة أوسيـاً من حلفـاء بني قريظــة ، لهم بينهم أولاد وأموال .

فلما توجه إليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول .

فقال لهم : انزلوا ، وأومأ بيـده إلى حلقـه ، يريـد أن الحكم الذبح .

ويقول أبو لبابـة : لم أبـارح موقفي ، حتى علمت أني خنت الله ورسوله .

فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجلاً من مقـابلـة رسول الله ﷺ ، وربط نفسه في سارية من سواري المسجـد ، حتى يقضي الله فيه أمره .

ولما سأل عنه رسول الله ﷺ ، أُخبر بما فعل ، فقال :

أمـا لو جـاءني لاستغفرت لـه ، أمـا وقـد فعـل مـا فعـل ، فنتركه حتى يقضي الله فيه .

ثم إن بني قريظة لم يروا بـدأ من النزول على حكم الرسول ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فحكم بالقتل ...

ثم تاب الله على أبي لبابة بقوله :

﴿ وآخرون اعترفوا بـذنوبهم ، خلطوا عملاً صـالحـاً وآخر سيئـــاً ، عسى الله أن يتـوب عليهم ، إن الله غفور رحيم ﴾[١] .

وقـد عـاهـد الله أن يهجر ديـار بني قريظـة ، التي حصلت فيها هذه الذلّة .

* * *

---

(١) ١٠٢ ـ التوبة .

اللهو بالأموال والأولاد عن طاعة الله :

ومن الفتنة بالأموال والأولاد اللهو بها عن طاعة الله وذكر الله .

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم أموالكم وأولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾(١) .

من الأزواج والأولاد أعداء :

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا : إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ، فإن الله غفور رحيم .

---

(١) ٩ ـ المنافقون .

إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم ﴾[١] .

قال المفسرون : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ، كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو ، بكَوا إليه ، ورققوه فقالوا :

إلى من تَدعُنا ؟

فيرقّ لهم فيقيم ، ويقعد عن الجهاد .

فنزلت الآية منبِّهة لذلك ، محذّرة من الركون إلى الأزواج والأولاد .

وروي أنها نزلت في رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدَعوهم أن يأتوا النبي ﷺ ، فلما أتوا النبي ﷺ ، ورأوا الناس قد فُقهوا في الدين ، وتعلّموا أحكامه ، وهموا أن يعاقبوهم ، فكان يقول أحدهم :

---

(١) ١٤ و ١٥ ـ التغابن .

لأرجعنّ إلى الـذين كانوا ينهـون عن هـذا الأمر ، فـلأفعلنّ ولأفعلنّ .

فأنزل الله عز وجل :

﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ، فإن الله غفـور رحيم ﴾ .

قال العلماء رضي الله عنهم :

هذا يبيّن وجه العداوة ، فإن العدو لم يكن عـدواً لـذاتـه ، وإنما كان عدواً بفعله ، فإذا فعلت الزوجة والولد فعل العـدو ، كانوا أعداء ، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين طـاعـة ربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

إن الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان فقال له :

أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك ؟!

فخالفه فآمن ، ثم قعد له على طريق الهجرة ، فقال له :

أتهاجر وتترك مالك وأهلك ؟!

فخالفه فهاجر ، ثم قعد له على طريق الجهاد ، فقال له : أتجاهد فتقتل نفسك ، فتُنكَح نساؤك ويُقسم مالك ؟!

فخالفه فجاهد فقُتل ، فحق على الله أن يدخله الجنة[١] .

قال العلماء : وقعود الشيطان الوارد في الحديث يكون بوجهين :

أحدهما ـ يكون بالوسوسة .

والثاني ـ بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوجة والولد والصاحب .

قال الله تعالى :

﴿ وقيّضنا لهم قُرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾[٢] ...

وفي الحديث الشريف :

---

(١) رواه البخاري .

(٢) ٢٥ ـ فصلت .

« تعِس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد القطيفة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش »[١] .

تنبيه :

كما أن الرجل يكون له ولده وزوجته عدواً ، كذلك المرأة يكون لها زوجها وولدها عدواً بهذا المعنى بعينه .

فإن قوله تعالى : ﴿ **من أزواجكم** ﴾ يدخل فيه الذكر والأنثى .

والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد .

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه والحاكم .
والخميصة : كساء أسود مربع ، له أعلام وخطوط .
والقطيفة : دثار له أهداب ، والدثار ما يلبس فوق الشعار .
وانتكس : عاوده المرض كما بدأ به ، أو انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة .
وشيك : أصابته شوكة .
فلا انتقش : أي فلا خرجت شوكته بالمنقاش .

ومن ذلك السكوت عن الولد إذا قعد عن فريضة من فرائض الله ، أو ارتكب معصية من معاصي الله ، وإقرار الزوجة والبنات على التبرج والتكشف والسفور والاختلاط المحرم بين الرجال والنساء ، والاختلاط الذي يقع في بيوت كثير من المسلمين اليوم ، حتى في بيوت بعض الصالحين منهم .

وكذلك سماع آلات اللهو ، وإقرار نسائه على مخالطة المتبرجات والسافرات ، ومماشاتهن في الشوارع والطرقات ، ومجالستهن في المجامع والضيافات .

* * *

فتنة « قارون » :

ومن الفتنة بالمال ما وقع لقارون :

قال الله تعالى :

﴿ إن قارون كان من قوم موسى ، فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة[١] .

(١) أي تميلهم بثقلها .

إذ قال لـه قومـه : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .

وابتـغ فيما آتـاك الله الـدار الآخرة ، ولا تنسَ نصيبك من الدنيـا ، وأحسن كما أحسن الله إليـك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين .

قال : إنما أوتيته على علم عندي !

أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشـد منـه قوة، وأكثر جمعـاً، ولا يُسـأل عن ذنـوبهم المجرمـون[1].

فخرج على قومه في زينته ، قـال الـذين يريـدون الحياة الدنيا :

يـا ليت لنـا مثل مـا أُوتي قـارون ، إنـه لـذو حـظٍ عظيم .

وقـال الـذين أُوتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير لمن

---

(١) أي لا يسألون سؤال استعتاب واسترضاء ، كما قال تعالى :

ولا هم يستعتبون (٣٥ ـ الجاثية) . فما هم من المعتبين ، (٢٤ ـ فصلت) .

وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ ، لقوله تعالى :

فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون (٩٢ و ٩٣ ـ الحجر) .

آمن ، وعمل صالحاً ، ولا يُلقاها إلا الصابرون .

فخسفنا بـه وبـداره الأرض ، فمـا كان لـه من فئـة ينصرونه ، من دون الله وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون :

وَيْكـأن الله يبسـط الرزق لمن يشـاء ويَقْـدر ، لولا أن منّ الله علينـا لخسف بنـا ، وَيْكأنـه لا يفلـح الكافرون .

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين ﴾[1] .

كان قـارون ابن عم موسى عليـه الصلاة والسلام ، وآتـاه الله تعالى مـا وصف من الغنى والمـال ، فبغى على قومـه ، واستخفّ بهم بكثرة مـالـه وولـده ، فنهـاه المؤمنـون من بني إسرائيـل عن الفرح بالدنيا والبطر بالمال ، وأرشدوه إلى أن يطلب فيما أعطاه الله من الـدنيـا الـدار الآخرة ، فـإن من حق المؤمن أن يصرف

(١) ٧٦ ـ ٨٣ ـ القصص .

الدنيـا فيما ينفعـه في الآخرة ، لا في التجبر والبغي ، على أن لا يضيّع حظه من الدنيا والتمتع بحلالها .

فلم ينتفع قارون بموعظة الصالحين من قومه ، وادّعى أن ما رُزِق من الغنى ، إنمـا رُزقـه ببراعتـه ومعرفتـه بـوجـوه التجـارة والمكاسب ، ونسي أن الله تعـالى ، هو الـذي سهل لـه الكسب ، وأعطاه هذا الغنى .

فلما خرج على قومه في زينته ، تمنى الضعفاء ، أو الـذين لم يؤمنوا بـالآخرة ، أن يكونوا مثلـه في الغنى والترف ، فـوعظهم الأحبـــار ، وذكَّروهم بـــالآخرة ، التي ينبغي أن يرغب بهـــا المؤمنون .

ثم كان جـزاء قـارون ، أن خسف الله تعـالى بــه وبــداره وأمواله الأرض ، وكان من الهالكين .

وندم الذين تمنّوا أن يكونوا مثلـه ، وعرفوا نعمـة الله عليهم بالإيمان والرحمـة ، والعصمـة من مثل مـا كان عليـه قـارون من البغي والبطر .

* * *

فتنة « ثعلبة » :

ومن الفتنة بالمال ما وقع لرجل من الأنصار يقال له : ثعلبة بن حاطب ، وقيل غيره .

قال الله تعالى :

﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين .

فلما آتاهم من فضله ، بخلوا به ، وتولّوا وهم معرضون .

فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقَوْنه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون .

ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرَّهم ونجواهم ، وأن الله علاّم الغيوب ﴾[1] .

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : أنه قال :

---

(١) ٧٥ ـ ٧٨ ـ التوبة .

جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ، ادعُ الله أن يرزقني مالاً .

فقال رسول الله ﷺ : ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره ، خير من كثير لا تطيقه .

ثم أتاه بعد ذلك ، فقال :

يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً .

فقال رسول الله ﷺ : أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟ والذي نفسي بيده ، لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت .

ثم أتاه بعد ذلك ، فقال :

يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً ، والذي بعثك بالحق ، لئن رزقني الله مالاً ، لأعطين كل ذي حق حقه !

فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالاً .

قال : فاتخذ غنماً ، فنمت كما ينمي الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، ونزل وادياً من أوديتها : وهي تنمي كما ينمي الدود . فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ، ويصلي في غنمه سائر الصلوات ، ثم كثرت ونمت ، حتى تباعد عن المدينة ، فصار لا يشهد إلا الجمعة ، ثم كثرت ونمت ، حتى تباعد عن المدينة أيضاً ، حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة .

فكان إذا كان يوم الجمعة ، خرج فتلقى الناس ، يسألهم عن الأخبار .

فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم ، فقال : ما فعل ثعلبة ؟

فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد !

فقال رسول الله ﷺ : يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة !

فأنزل الله تعالى آية الصدقة ، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سُلَيم ، ورجلاً من بني جُهَينة ، وكتب لهما أسنان الصدقة ، وكيف يأخذان .

وقال لهما : مُرا على ثعلبة بن حاطب ، ورجل من بني سليم ، فخذا صدقاتهما .

فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ .

فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى تفرغا ، ثم عودا إليّ .

فانطلقا وسمع بهما السُلَمي ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها .

فلما رأياها ، قالا : ما هذه عليك .

قال : خذاها ، فإن نفسي بذلك طيبة .

فمرا على الناس ، وأخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ، فقال :

أروني كتابكما .

فقرأه ثم قال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ! اذهبا حتى أرى رأيي .

قال ، فأقبلا ، فلما رآهما رسول الله ﷺ ، قال قبل أن يتكلما :

يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة !

ثم دعا للسُّلمي بخير ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة .

فأنزل الله تعالى فيه :

﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ...** ﴾ الآيات .

وكان عند رسول الله ﷺ حينئذ رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا .

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ ، فسأله أن يقبل منه صدقته .

فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك .

فجعل يحثو على رأسه التراب .

فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني .

فلما أبى أن يقبل رسول الله ﷺ صدقته ، رجع إلى منزله .

وقُبض رسول الله ﷺ ، فأتى أبا بكر فقال : اقبل صدقتي .

فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ، فأنا لا أقبلها .

فقُبض أبو بكر ولم يقبلها منه ، فلما ولي عمر ، أتاه فقال : اقبل صدقتي .

فقال : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ، فأنا لا أقبلها منك .

ثم ولي عثمان ، فأتاه فلم يقبلها منه ، وهلك في خلافة عثمان[١] .

* * *

(١) رواه البغوي والطبري .

قال بعض العلماء : إنما لم يقبل رسول الله ﷺ صدقة ثعلبة ، لأن الله تعالى منعه من قبولها منه ، مجازاة له على إخلافه ما عاهد عليه ، وإهانة له على قوله : إنما هي جزية ، أو أخت الجزية ، فلما صدر هذا القول منه ، رُدَّت صدقته عليه إهانة له ، وليعتبر غيره به ، فلا يمتنعَ من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ، ويرى أنها واجبة عليه ، وأنه يثاب على إخراجها ، ويعاقب على منعها .

ومن الفتنة بالمال :

ومن الفتنة بالمال ما وقع لأحد الأخوين اللذين وردت قصتهما في سورة الكهف :

قال الله تعالى :

﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ، وحففناهما بنخل ، وجعلنا بينهما زرعا .

كلتا الجنتين آتت أُكُلها ولم تظلم منه شيئاً ، وفجرنا خلالهما نهرا .

وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره :

أنا أكثر منك مالاً ، وأعزّ نفرا .

ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال :

ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رُدِدت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا .

قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ؟

لكنا [١] هو الله ربي ، ولا أشرك بربي أحدا .

ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إن تَرَنِ أنا أقل منك مالاً وولدا ، فعسى ربي أن يؤتيَنِ خيراً من جنتك ، ويرسلَ عليها حُسْباناً من السماء ، فتصبح صعيداً زَلَقا .

أو يصبح ماؤها غوراً ، فلن تستطيع له طلبا .

---

(١) أصلها : لكن أنا ، فحذفت الألف من « أنا » للتخفيف ، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى ، وحذفت ألف « أنا » في الوصل ، وأثبتت في الوقف .

وأُحيط بثمره ، فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها ، وهي خاوية على عروشها ، ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحدا .

ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴾[1] .

* * *

كان هذان الأخوان شريكين ، ثم اقتسما المال ، فصار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ، فاشترى المؤمن منهما عبيداً وأعتقهم ، وكسا العُراة ، وأطعم الجياع ، وبنى مساجد ، وفعل خيرا ...

وأما الآخر فنكح بماله نساءً ذات يسار ، واشترى دوابّ وبقراً ، فاستنتجها ، فنمت له نماء مفرطا ، واتّجر بباقي ماله ، فربح حتى فاق أهل زمانه غنى .

وأدركتِ الأولَ الحاجة ، فأراد أن يؤجر نفسه في جنة

---

(١) ٣٢ ـ ٤٣ ـ الكهف .

يخدمها ، فقال :

لو ذهبت لشريكي وصاحبي ، فسألته أن يستخدمني في بعض جناته ، رجوت أن يكون ذلك أصلح لي .

فجاءه فلم يكد يصل إليه من غلظ الحجّاب ، فلما دخل عليه وعرفه ، وسأله حاجته ، قال له :

ألم أكن قاسمتك نصف المال ؟ فما صنعت بمالك ؟!

قال : اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وأبقى .

فقال : أئنك لمن المصدّقين ؟ وما أظن الساعة قائمة ! وما أراك إلا سفيهاً ، وما جزاؤك عندي على سفاهتك إلا الحرمان ، أو ما ترى ما صنعتُ أنا بمالي ، وحتى آل إليّ ما تراه من الثروة وحسن الحال ، وذلك أني كسبتُ ، وسفِهتَ أنت ، اخرج عني .

ثم كان من قصة هذا الغني ، ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم ، من الإحاطة بثمره ، وذهاب جنته ، بما أرسل عليها من السماء من الحُسبْان ـ أي من العذاب ـ ما جعلها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس .

ومن الفتنة بالمال :

ومن الفتنة بالمال ما وقع لأصحاب الجنة ـ يعني الحديقة ـ الذين وردت قصتهم في سورة « ن » :

قال الله تعالى :

﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ، إذ أقسموا لَيَصرِمُنَّها مصبحين ، ولا يستثنون .

فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم .

فتنادوا مصبحين : أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين .

فانطلقوا وهم يتخافتون ، أن لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين .

وغَدَوْا على حَرْد قادرين ، فلما رأوها قالوا :

إنا لضالون ، بل نحن محرومون !

قال أوسطهم : ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟

قالوا : سبحان ربنا إنا كنا ظالمين .

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون .

قالوا : يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يُبْدلنا خيراً منها ، إنا إلى ربنا راغبون .

كذلك العذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر ، لو كانوا يعلمون ﴾[١] .

معاني الألفاظ :

لَيصرِمُنَّها : ليجمعُنَّ جنى جنتهم من زرع وثمر .

ولا يستثنون : لم يقولوا : « إن شاء الله » أو لا يستثنون حق المساكين .

فطاف عليها طائف : أي من العذاب والنِّقمة .

فأصبحت كالصريم : كالزرع المحصود ، والثمر المقطوع .

---

(١) ١٧ - ٣٣ - ن .

وغـدوا على حرد قـادرين : أي قصـدٍ وقـدرة في أنفسهم ، يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم .

إنا لضالون : أي ضللنا الطريق إلى حديقتنا .

بل نحن محرومون : أي حُرمنا جنتنا وثمرها بما صنعنا .

قال أوسطهم : أي أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم .

لـولا تسبحـون : هـلا تقـولـون : « سبحـان الله » ، وتشكرونه على ما أعطاكم .

* * *

القصة :

إن الجنة المـذكورة هي بستـان بـاليمن ، كان لرجل صـالح سخي ، يجود على الفقراء والمساكين بكثير مما يجنيه من بستـانـه من ثمر وزرع .

فلما مات ، ورثه بنوه ، فقالوا : كما يقول البخلاء :

والله إن المـال قليل ، وإن العيـال كثير ، وإنمـا كان أبـونـا

يجود على الفقراء ، ويغلب عليه وصف السخاء ، لما كان المال كثيرا ، والعيال قليلا ، فأما إذ قلَّ المال ، وكثر العيال ، فإنا لا نستطيع أن نفعل ما كان يفعل .

فتحالفوا بينهم أن يخرجوا إلى بستانهم لقطف ثمره مبكرين ، قبل أن يرتفع النهار ، وينتشر الناس ، فيشعر الفقراء والمساكين بخروجهم ، ويتشوقوا إلى عطائهم .

ولكن الله تعالى وقد علم منهم هذا العزم ، أرسل على بستانهم نفحةَ من عذاب ، جعلته حصيداً كأن لم يَغْنَ بالأمس .

وانطلقوا إلى بستانهم في الموعد المرغوب ، فلما وصلوا إليه ، ورأوا ما حلّ به ، ظنوا أنهم أخطئوا الطريق إليه ، ولما عرفوا أنه هو ، أيقنوا أن ما حل بهم من النقمة ، وما أصابهم من الحرمان ، إنما كان بشؤم ما عقدوا العزم عليه ، من منع الفقراء والمساكين عطاءهم ، الذي اعتادوا أن ينالوه من أبيهم من قبل .

فندموا على ما فعلوا ، ولاتَ حين مَنْدَم ، ولام بعضهم بعضاً على ما فرط منهم ، وفي ذلك مُعتَبَر وأي معتبر !

* * *

ومن الفتنة بالمال :

ومن الفتنة بالمال ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غَدَقا ، لنفتنهم فيه ﴾[١] ...

أي لو آمن هؤلاء الكفار ، لوسّعنا عليهم في الدنيا ، وبسطنا لهم في الرزق ، لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم .

وقال تعالى :

﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾[٢] ؟

وقال عز وجل :

﴿ ولا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم

---

(١) ١٦ ـ الجن .

(٢) ٧ ـ الكهف .

زهرة الحياة الدنيا ، لنفتنهم فيه ﴾[١] ...

أي لنبتليهم به ونختبرهم .

الاغترار بالأموال والأولاد :

ومن الفتنة بالأموال والأولاد الاغترار بهم والتفاخر :

قال الله تعالى :

﴿ إن الـــذين كفروا لن تغني عنهم أمــوالهم ولا أولادهم من الله شيئا ﴾[٢] ...

فــالكافرون وإن اغتروا بــأمــوالهم ، واعتزوا بـــأولادهم ، وتفاخروا بذلك وتكاثروا ، فإن الأموال والأولاد لا تـدفع عنهم من عذاب الله شيئا .

قال المنافقون : إن محمداً يزعم أنه يُنصر يوم القيـامـة ، لقـد شقينا إذن ! فوالله لنُنصَرَنَّ يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة .

---

(١) ١٣١ ـ طه .

(٢) ١٠ ـ آل عمران .

وقال تعالى :

﴿ أيحسبون أنّما نُمدّهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في الخيرات ؟

بل لا يشعرون ﴾[١] .

فليس إمداد الله تعالى الكافرين بالأموال والبنين إكراماً لهم ، ولا مسارعةً في إكرامهم ، بل إن ذلك فتنة لهم واستدراج .

﴿ وقالوا : نحن أكثر أموالاً وأولاداً ، وما نحن بمعذّبين .

قل : إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلفى ﴾[٢] ...

---

(١) ٥٥ ـ ٥٦ المؤمنون .

(٢) ٣٥ ـ ٣٧ ـ سبأ .

فضل الزهد في الدنيا :

ولهذا كله جاءت الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، مزهّدة في الدنيا ، مرغّبة في الآخرة :

قال الله تعالى :

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ، كماء أنزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، مما يأكل الناس والأنعام ، حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفها[(١)] وازّيّنت[(٢)] وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾[(٣)] .

وقال الله تعالى :

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ، كماء أنزلناه من

---

(١) أي بهجتها بالنبات .

(٢) أي الزهر .

(٣) ٢٤ ـ يونس .

السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هَشيماً[١] تَذْروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدار .

المال والبنون زينة الحياة الدينا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾[٢] .

وقال عز وجل :

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث[٣]أعجب الكفار[٤]- نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرّا ، ثم يكون حطاما ، وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[٥] .

وقال تبارك وتعالى :

---

(١) أي مهشوماً مكسوراً .

(٢) ٤٥ و ٤٦ ـ الكهف .

(٣) أي مطر .

(٤) يعني الزراع .

(٥) ٢٠ ـ الحديد .

﴿ يـا أيهـا النـاس ، إن وعـد الله حق ، فـلا تغرّنّكم الحيـاة الـدنيـا ، ولا يغرنكم بـالله الغرور ﴾[١] - يعني الشيطان -

وقال جل شأنه :

﴿ وما هذه الحياة الدنيـا إلا لهو ولعب ، وإن الـدار الآخرة لهي الحيوانُ[٢] **لو كانوا يعلمون ﴾**[٣] .

وفي الحديث الشريف :

« عن عمرو بن عوف الأنصـاري رضي الله عنـه ، أن رسول الله ﷺ ، بعث أبـا عبيـدة بن الجراح رضي الله عنـه إلى البحرين ، فسمعت الأنصـار بقـدوم أبي عبيـدة ، فوافَـوْا صـلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلمـا صلى رسول الله ﷺ انصرف ، فتعرّضوا له .

فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال :

---

(١) ٥ ـ فاطر .

(٢) أي الحياة الهانئة الخالدة .

(٣) ٦٤ ـ العنكبوت .

أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟

فقالوا : أجل يا رسول الله .

فقال : أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبسَط الدنيا عليكم ، كما بُسِطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم[١] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :

جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال :

إن مما أخاف عليكم من بعدي ، ما يُفتَح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها[٢] .

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال :

إن الدنيا حلوة خضِرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء[٣] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

وعن كعب بن عياض رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن لكل أمة فتنة ـ أي ما يُمتَحنون به ـ وفتنة أمتي المال[١] .

وفي الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال :

أخوف ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا !

قالوا : وما زهرة الدنيا ؟

قال : بركات الأرض[٢] ...

وعن عبد الله بن الشخّير رضي الله عنه أنه قال :

أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ **ألهاكم التكاثر** ﴾ .

قال : يقول ابن آدم : مالي ، مالي !

وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت[١] ؟!

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

لقد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافا ، وقنّعه الله بما آتاه[٢] .

والكفاف : ما وفى بالحاجة ، وكفّ صاحبه عن السؤال .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

طوبى لمن هُدي للإسلام ، وكان عيشه كفافا ، وقَنع[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

ليس الغنى عن كثرة العَرَض ـ يعني المال ـ ولكن الغنى عن النفس[٤] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، قال :

سألت رسول الله ﷺ - يعني من المال - فأعطاني . ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال :

يا حكيم ! إن هذا المال خَضِر حلو ، فمن أخذه بسخاوة النفس - أي من غير طمع - بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس ، لم يبارك له فيه ، وكان كالذي لا يأكل ولا يشبع ، واليد العليا - يعني المعطية - خير من اليد السفلى - يعني الآخذة -

قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لا أَرْزَأ أحداً - أي لا آخذ من أحد - بعدك شيئا ، حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر رضي الله عنه ، يدعو حكيما ، ليعطيه العطاء ، فيأبى أن يقبل منه شيئا .

ثم إن عمر رضي الله عنه ، دعاه ليعطيه ، فأبى أن يقبله .

فقال : يا معشر المسلمين ، أشهدكم على حكيم ، أني أعرض

عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء ، فيأبى أن يأخذه .

فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي[١] .

هذا بعض ما جاء في فضل الزهد في الدنيا ، والرغبة في الآخرة .

معنى الزهد :

وليس معنى الزهد في الدنيا خلو اليد منها ، بل معناه أن لا يتعلق القلب بها ، وأن لا تشغل عن الله تعالى وعن العمل للآخرة .

قال بعض السلف : الزهد في الدنيا قصر الأمل ، لا بأكل الخشن ، ولا بلبس العباء ، وإن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، كان في ملكه من الزاهدين .

وقال آخر : أخرج الدنيا من قلبك ، واجعلها في يدك ، ثم افعل بها ما شئت .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

ومن علامة الزهد في الدنيا ، أن لا يفرح بموجود منها ، ولا يتأسف على مفقود منها ، وأن يكون عظيم الثقة بالله تعالى .

ومن علامة الزهد النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، لتصغر في عينيك ، فيسهل عليك الإعراض عنها .

ومن علامة الزهد ، وجود الراحة في البذل .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : الزهد على ثلاثة أوجه :

ترك الحرام ، وهو زهد العوامّ .

وترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواصّ .

وترك ما يشغل العبد عن الله تعالى ، وهو زهد العارفين .

وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : جعل الله الشر كله في بيت ، وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد .

* * *

فضيلة الإنفاق :

وقد رغّب الله تعالى عباده بالإنفاق ، فقال :

﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾[١] ..

﴿ ومـــا تنفقـوا من خير يُـوَفَّ إليكم ، وأنتم لا تظلمون ﴾[٢] .

﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾[٣] .

وفي الحـديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، أن النبي ﷺ قال :

ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان ينزلان .

فيقول أحدهما : اللهم أعطِ منفقاً خلفا .

ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً[٤] .

---

(١) ٣٩ ـ سبأ .

(٢) ٢٧٢ ـ البقرة .

(٣) ٢٧٣ ـ البقرة .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي ﷺ :

ما بقي منها ؟

قالت : ما بقي منها إلا كتفُها .

قال : بقي كلها إلا كتفَها[١] .

معناه : أنهم تصدقوا بها إلا كتفها ، فقال :

بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

من تصدّق بعَدل تمرة ـ أي بقيمتها ـ من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فَلُوَّه ، حتى تكون مثل الجبل[٢] .

وعنه أن النبي ﷺ قال :

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض ـ أي أرض لا ماء فيها ـ فسمع صوتاً في سحابة :

« اسقِ حديقة فلان » .

فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حَرَّة ـ أي أرض ذات حجارة سوداء ـ فإذا شَرْجةٌ من تلك الشراج ـ أي مسيل ماء ـ قد استوعبت ذلك الماء كله .

فتتبّع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته ، يحول الماء بمسحاته .

فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟

قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة .

فقال : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟

فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه ، يقول : « اسق حديقة فلان » لاسمك ، فما تصنع فيها ؟

فقال : أما إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ،

فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثا ، وأردّ فيها ثلثه[١] .

فضيلة الإيثار :

وقد حث الله تعالى على البذل و الإيثار ، فقال في معرض الثناء :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة ﴾ [٢] ـ أي حاجة ـ

أي يقدّمون غيرهم على أنفسهم فيما عندهم من الأموال .

وقال عز وجل :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا .

إنما نطعمكم لوجه الله ، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾[٣] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) ٩ ـ الحشر .

(٣) ٨ و ٩ ـ الإنسان .

وفي الحديث الشريف : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني مجهود - أي أصابني الجهد ، وهو المشقة والجوع -

فأرسل النبي ﷺ إلى بعض نسائه فقالت :

والذي بعثك بالحق ، ما عندي إلا ماء .

ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك :

لا والذي بعثك بالحق ، ما عندي إلا ماء .

فقال النبي ﷺ : من يضيف هذا الليلة ؟

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته :

أكرمي ضيف رسول الله .

وفي رواية قال لامرأته : هل عندك شيء ؟

قالت : لا إلا قوتَ صبياني .

قـال : فعلّليهم بشيء ، وإذا أرادوا العشـاء فنـوّميهم ، وإذا دخل ضيفنا ، فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل ، - وذلك قبل نزول فريضة الحجاب -

فقعدوا ، وأكل الضيف ، وباتا طاويين .

فلما أصبح غدا على النبي ﷺ ، فقال :

لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة[١] .

أي رضي عنكما رضا عظيما .

وعن أبي مـوسى الأشعري رضي الله عنــه ، أن النبي ﷺ قال :

إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو - أي فرغ زادهم أو قـارب الفراغ - أو قلّ طعام عيالهم في المدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسويـة ، فهم مني

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

وأنا منهم(١) .

أثر هذا التوجيه :

وعلى أثر هذا التوجيه الصالح في كتاب الله تعالى : وحديث رسول الله ﷺ ، كان المسلمون الأولون أسخياء بالمال ، ومثلاً أعلى في الجود والبذل والإحسان :

أنفق أبو بكر رضي الله عنه يوم العسرة جميع ماله .

وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله .

وصبّ عثمان رضي الله عنه الذهب صباً بين يدي رسول الله ﷺ .

وجاء عائشة رضي الله عنها مال في غرارتين ، فصبته على حصير ، فما قامت حتى أنفقته .

وكانت صائمة ، فلما كان المساء ، قالت :

يا جارية هلمي فطري ـ أي ائتيني بشيء أفطر عليه ـ

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

فجاءتها بخبز وزيت ، وقالت لها معاتبة :

أما كنت تستطيعين أن تتركي لنا مما جاءك اليوم ، درهماً نشتري به لحماً نفطر عليه ؟

قالت : لا تعنّفيني ، لو كنتِ ذكرتني لفعلت .

وأراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يختبر بعض أصحابه يوماً ، فجعل أربعين ديناراً في صرة ، وقال لغلامه :

اذهب بهذه الصرة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وقل له :

يسلم عليك أمير المؤمنين ، ويقول : اجعل هذه في بعض حاجتك ، وتله عنده ساعة ، حتى ترى ما يصنع ، فذهب بها إليه .

فقال أبو عبيدة : جزى الله أمير المؤمنين خيرا ، تعال يا غلام !

خذ هذه الخمسة إلى فلان الفقير ، وهذه الثلاثة إلى فلان اليتيم، وهذه السبعة إلى فلانة الأرملة... حتى لم يبق في الصرة شيء.

فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه ، فأخبره ، ووجده قد عدّ مثلها وقال :

خذ هذه الصرة إلى معاذ بن جبل ، وقل له :

يسلم عليك أمير المؤمنين ويقول : ضع هذه في بعض حاجتك وتلهَّ عنده ساعة ، حتى ترى ما يصنع .

فذهب بها إليه ، فقال : جزى الله أمير المؤمنين خيرا ، تعالي يا جارية ! خذي هذه الثلاثة إلى فلان ، وهذه الخمسة إلى فلانة ... حتى لم يبق في الصرة إلا ديناران ، فصاحت امرأة معاذ : ونحن والله يا معاذ مساكين .

فرمى بالدينارين إليها .

فرجع الغلام ، وأخبر أمير المؤمنين بما رأى ، فبكى رضي الله عنه وقال :

إنهم إخوة بعضهم من بعض .

وخرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا ، فمروا بعجوز في خباء لها ،

فقالوا : هل من شراب ؟

فقالت : نعم .

فأناخوا إليها ، وليس لها إلا شويهة في جانب الخيمة .

فقالت : احلبوها واشربوا لبنها .

ففعلوا ذلك ، ثم قالوا لها : هل من طعام ؟

قالت : لا ، إلا هذه الشاة ، فليذبحها أحدكم ، حتى أهيىء لكم ما تأكلون .

فقام إليها أحدهم ، وذبحها وهيأت لهم طعاماً فأكلوا ، وأقاموا حتى أبردوا ، فلما ارتحلوا قالوا لها :

نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين ، فألّمي بنا ، فإنا صانعون بك خيرا .

ثم ارتحلوا ، وأقبل زوجها ، فأخبرته بخبر القوم والشاة ، فغضب وقال :

ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ، ثم تقولين : نفر من قريش !

وبعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلاها ، وجعلا ينقلان البعر إليها ، ويبيعانه ، ويعيشان بثمنه .

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة ، فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره ، فعرف العجوز ، وهي له منكرة .

فقال لها : يا أمة الله ، أتعرفيني ؟

قالت : لا .

قال : أنا ضيفك يوم كذا وكذا .

فقالت العجوز : بأبي أنت وأمي ، أنت هو ؟!

قال : نعم .

ثم أمر لها بألف شاة وألف دينار ، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين .

فقال لها الحسين : بكم وصلكِ أخي ؟

فقالت : بألف شاة وألف دينار .

فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ، ثم بعث بها مع غلامه إلى

عبد الله بن جعفر .

فقال لها : بكم وصلك الحسن والحسين ؟

قالت : بألفي شاة ، وألفي دينار .

فأمر لها عبد الله بألفي شاة ، وألفي دينار ، وقال لها : لو بدأت بي لأتبعتهما .

فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة ، وأربعة آلاف دينار .

وروي أن عبد الله بن جعفر ، خرج إلى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم ، وفيه غلام أسود يعمل فيه ، إذ أُتي الغلام بقُوته ، فدخل الحائط - يعني البستان - كلب ، ودنا من الغلام ، فرمى إليه الغلام بقرص ، فأكله ، ثم رمى إليه بالثاني والثالث ، فأكلها ، وعبد الله ينظر إليه .

فقال له : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟

قال : هو ما رأيت .

قال : فلم آثرت به هذا الكلب .

قـال : إن أرضنـا ليست بـأرض كـلاب ، وإنـه جـاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت أن أشبع وهو جائع !

قال : فما أنت صانع اليوم بنفسك ؟

قال : أطوي يومي هذا ـ أي أبقى بلا طعام ـ

فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء ! إن هذا الغلام لأسخي مني .

فاشترى الحائط والغلام وما في الحـائـط من آلات ، فـأعتق الغلام ووهبه ذلك كله .

وأهدي إلى رجل من أصحـاب رسول الله ﷺ رأس شـاة ، فقال :

إن أخي فلاناً أحوج مني إليه ، فبعث به إليه .

فلم يـزل يبعث بـه واحـد إلى آخر ، حتى تـداولـه سبعـة بيوت ، ورجع إلى الأول .

من الفتنة بالأولاد إقرارهم على المعاصي :

هـذا ، ومن الفتنـة بـالأولاد إقرارهم على معـاصي الله ، والسكـوت عنهم في القعـود عن طـاعـة الله ، وإعطـاؤهم المـال ينفقونه في مساخط الله ، أو في سبيل الترف والبطر ...

فكم في بيـوت المسلمين اليـوم ، بـل وفي بيـوت الصـالحين منهم ، من شباب فاسقين ، تاركين للصلاة ، جُرَآء على الإفطار في رمضان من غير عـذر ، متختمين بـالـذهب ـ وهو محرّم على الرجال ـ من غير مبالاة ..!

وكم في بيـوت المسلمين اليـوم ، من بنـات متبرجـات أو سافرات ، كاسيات عاريات ، استحللن ما حرم الله ..!

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يستيقظ من الليل للتهجـد ، ويوقـظ أهلـه وأولاده لـذلـك ، وهو يتلو قوله تعالى :

﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾[1] ...

---

(١) ١٣٢ ـ طه .

وكان رضي الله عنه إذا نهى الناس عن أمر ، دعا أهله فقال :

إني نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير إلى اللحم ، فإن وقعتم وقع الناس ، وإن هبتم هاب الناس ، وإنه والله لا يقع أحد منكم في شيء نهيت الناس عنه إلا أُضعف له العقوبة لمكانه مني .

ورأى عمر بن العزيز رضي الله عنه في يد أحد أولاده خاتماً قيمة فصّه ألف درهم ، فأقسم عليه أن يبيعه ، ويجعل ثمنه في بطن ألف جائع ، وأن يتخذ مكانه خاتماً ينقش عليه : رحم الله امرأ عرف قدره .

الفتنة بالنساء :

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدْنينَ عليهن من جلابيبهن ﴾[1] ...

---

(١) ٥٩ ـ الأحزاب .

أي يُرخينَ ويغطّين من جلابيبهن .

والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار .

قال ابن عباس رضي الله عنهما ، أمر الله تعالى النساء أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ...

وقال العلماء : الجلباب هو ما غطى جميع الجسم لا بعضه ، وصححه القرطبي في تفسيره .

* * *

وقال عز وجل :

﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ﴾[1] ...

قال المفسرون : القواعد من النساء هنّ العُجَّز اللواتي إذا رآهن الرجال استقذروهن من الكبر ، فأما من كانت فيها بقية

---

(١) ٦٠ ـ النور .

جمال ، وهي محل الشهوة ، فلا تدخل في حكم هذه الآية .

والمعنى : لا جنــاح عليهن أن يضعن بعض ثيــابهن ، وهــو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب ، والقناع الذي فوق الخمــار ، فأما الخمار فلا يجوز وضعه ـ أي تركه ـ

قــال المفسرون : إنمـا خص القـواعـد من النســاء بـذلــك ، لانصراف الأنفس عنهن ، إذ لا رغبة للرجال فيهن ، فأبيح لهن ما لم يُبَح لغيرهن ، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن .

وقوله تعالى : ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ :

أي من غير أن يردن بوضـع الحجـاب والرداء ـ أي تركهما ـ إظهار زينتهن .

والتبرج : هـو أن تظهر المرأة من محـاسنهـا مـا يجب عليهـا ستره .

قيل لعائشة رضي الله عنها : يـا أم المؤمنين ، مـا تقولين في الخضـاب والصبـاغ والتمائم والقرطين والخلخـال وخـاتم الـذهب ورقاق الثياب ؟

فقالت : يا معشر النساء ، قصّتكن قصة امرأة واحدة ، أحل الله لكُنّ الزينة غير المتبرجات لمن لا يحل لكُنْ أن يروا منكن محرّها .

وقوله تعالى : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ : أي فلا يلقين الحجاب ولا الرداء ، فذكر الله تعالى أن تحفظ الجميع من النساء ، واستعفافهن عن وضع الثياب ، والتزامهن ما يلزم الشابات ، أفضل لهن وخير لهن .

ومن التبرج أن تلبس المرأة الثياب الرقاق التي تصف بشرتها .

ومن ذلك الجوارب الرقيقة الشفافة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .

ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ،

وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا[١] .

قال العلماء : وإنما جعلهن كاسيات ، لأن الثياب عليهن ، وإنما وصفهن بأنهن عاريات ، لأن الثوب إذا رق يصفهن ، ويبدي محاسنهن ، وذلك حرام .

والمرأة أمرها مبني على الستر ، ومن أجل هذا شُرع لها أن ترخي ذيلها ذراعا .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال :

من جر ثوبه خُيَلاء ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة .

فقالت أم سلمة رضي الله عنها : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟

قال : يُرخين شبراً .

فقالت : إذن تتكشف أقدامهن .

قال : فيرخين ذراعاً لا يزدن عليه[٢] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذي .

وأشكل على امرأة قد تمشي في المكان القذر .

فقالت أم سلمة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : يطّهره ما بعده[١] .

قال العلماء رضي الله عنهم : في هذا الحديث رخصة للنساء في جر الإزار ، لأنه يكون أستر لهن .

صيانة المرأة بالحجاب :

قال الله تعالى :

﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾[٢] ...

عن أنس رضي الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

وافقت ربي في أربع ... الحديث ، وفيه :

قلت : يا رسول الله ، لو ضربت على نسائك الحجاب ،

---

(١) رواه مالك .

(٢) ٥٣ ـ الأحزاب .

فإنه يدخل عليهن البر والفاجر .

فأنزل الله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب** ﴾ ...

قال العلماء : في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب ، وفي حاجة تعرض لهن ، أو مسألة يُستَفْتين فيها ، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة ، من أن المرأة كلها عورة ... فلا يجوز لها كشف وجهها إلا لحاجة كالشهادة عليها ، كما لا يجوز كشف شيء من بدنها إلا لضرورة ، كالكشف للطبيب عند الحاجة .

قال الله تعالى : ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾ :

أي من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء ، وللنساء في أمر الرجال ، فذلك أنفى للريبة ، وأبعد للتهمة ، وأقوى في الحماية .

وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع امرأة لا تحل له ، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله ، وأحصن لنفسه ، وأتم لعصمته .

وفي الحديث الشريف :

ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء[١] .

كُتِب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدركٌ ذلك لا محالة :

العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخُطا ، والقلب يهوي ويتمنى ، ويصدّق ذلك الفرج أو يكذبه[٢] .

إياكم والجلوس في الطرقات !

قالوا : يا رسول الله ، مالنا من مجالسنا بدّ ، نتحدث فيها .

فقال رسول الله ﷺ : فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه .

قالوا : وما حق الطريق ؟

قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري مسلم .

بالمعروف ، والنهي عن المنكر[١] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت :

كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب .

فقال النبي ﷺ : احتجبا منه .

فقلنا : يا رسول الله : أليس هو أعمى ، لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟

فقال النبي ﷺ : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه[٢] ؟!

وفي الحديث القدسي :

النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها مخافة مني ، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه[٣] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذي .

(٣) رواه الطبراني والحاكم .

إياكم والدخول على النساء !

فقال رجل من الأنصار : أفرأيتَ الحمو ؟

قال : الحمو الموت[(١)] .

والحمو قريب الزوج ، كأخيه وابن أخيه وابن عمه ...

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

معنى هذا الحديث أن الخوف من الحمو أكثر من غيره ، والشر يتوقع منه والفتنة أكثر ، لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها ، من غير أن يُنكر عليه ، بخلاف الأجنبي ، ولأن من عادة الناس التساهل فيه ، فهذا هو الموت ، وهو أولى بالمنع من الأجنبي كما ذكرنا .

وفي الحديث الشريف :

لا تسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرَم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم[(٢)] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

وحرم الإسلام الاختلاط بين الرجال والنساء ، ورغّب في التباعد بين الجنسين حتى في الصلاة .

ففي الحديث الشريف :

خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرها أولها[١] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :

ما من صباح إلا وملكان يناديان :

ويل للرجال من النساء ، وويل للنساء من الرجال[٢] .

وفي الحديث الشريف :

إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها ، فهي زانية[٣] .

المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان[٤] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٣) رواه أبو داود وغيره .

(٤) رواه الترمذي .

وصف النبي ﷺ المرأة بأنها عورة ، والعورة من شأنها الستر .

ومعنى استشرفها الشيطان : رفع بصره إليها ليُغويها أو يغوي بها ، فيوقع الرجل في الفتنة بها ، أو يوقعها في الفتنة به ، أو يوقعهما جميعاً .

ولزوم المرأة بيتها أفضل لها من الخروج حتى في صلاة الجماعة .

عن أم حُمَيد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنهما ، أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت :

يا رسول الله ، إني أحب الصلاة ، معك .

قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك ، خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك ، خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك ، خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك ، خير من صلاتك في مسجدي .

قال : فأمرت فبُني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه ، وكانت تصلي فيه ، حتى لقيت الله عز وجل[١] .

عورة المرأة :

في الحديث الشريف :

لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة[٢] ...

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى عند الكلام على هذا الحديث :

وأما نظر الرجل إلى المرأة فحرام في كل شيء من بدنها ...

وقال الجرداني رحمه الله تعالى :

وعورة المرأة بالنسبة لنظر الأجنبي إليها جميع بدنها ، بدون استثناء شيء منه أصلا ، ولو كانت عجوزاً شوهاء ، فيحرم على الرجل أن ينظر إلى شيء منها ، ولو بغير شهوة ... ويجب أن

---

(١) رواه أحمد وغيره .

(٢) رواه مسلم .

تستتر عنه ، وهذا هو المعتمد .

متى يباح النظر :

ويباح النظر في الصورة الآتية :

١ ـ النظر للمداواة .

٢ ـ والنظر للشهادة لها أو عليها .

٣ ـ والنظر للمعاملة من بيع وغيره كرهن وإجارة ...

٤ ـ والنظر للتعليم ، وذلك عند تعليمها ما يجب تعلمه كالفاتحة وأقل التشهد ...

ويشترط لجواز ذلك فَقْدُ جنس ، وَمحْرَم صالح ، وتعذّره من وراء حجاب ، ووجود مانع خلوة .

٥ ـ والنظر إلى الرقيق عند شرائه ذكراً كان أو أنثى .

٦ ـ والنظر لأجل التزوج بعد العزم على النكاح ورجاء الإجابة .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أنه دخل مع رسول

الله ﷺ على امرأة ، وبين يديها نَوى ـ أو حصى تسبح به ، فقال :

أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا ... الحديث(١)

قال العلماء : يحتمل كون المرأة صفية بنت حُيَي ، ويحتمل كونها جُوَيرية رضي الله عنهما ، ويحتمل أنها غيرهما ، ولعلها كانت من محارم سعد ، أو كان ذلك قبل نزول الحجاب ، إن نظر لوجهها ، وإلا فلا إشكال .

قالوا : وأما هو ﷺ ، فمن خصائصه أن الأجنبيات من النساء بمنزلة المحارم منه في جواز الخلوة بهن ، والدخول عليهن ، للأمن من الفتنة ، لعصمته ﷺ .

وخرج بالنظر المسّ ، فهو حرام إلا للمداواة .

فيحرم على الرجل مصافحة المرأة .

قالت أمية بنت رُقَيْقة الأنصارية رضي الله عنها :

أتيت النبي ﷺ في نسوة من الأنصار نبايعه ، فقلنا :

---

(١) رواه الترمذي .

يا رسول الله ، هلُمَّ - أي أقبلْ - نبايعك .

- وكانت المبايعة لا تُعقد إلا باليد من كل فرد -

فقال رسول الله ﷺ : إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمئة امرأة كقولي لامرأة واحدة ، قد بايعتكن كلاما .

قالت عائشة رضي الله عنها : والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، كان يبايعهن بالكلام .

الإسلام دين الصيانة والعفاف :

فأنت ترى من صراحة هذه النصوص ، ما هدف إليه الإسلام ، من صيانة الرجال من فتنة النساء ، وصيانة النساء وتكريمهن .

فقد أمر الإسلام المرأة بالقرار في البيت ، وبالحجاب إذا خرجت لحاجة .

وحرّم عليها التبرج ، وهو إظهار الزينة .

بل حرّم عليها الضرب بالأرجل ، لإسماع الرجال صوت الخلخال فيها .

وحرّم عليها التطيب إذا خرجت .

وحرم الكلام معها إذا خُشيت فتنة .

وحرم مصافحتها .

وحرم دخول الرجال عليها ، وخلوتهم بها .

وأرشدها إلى البعد عن الرجال في الصلاة وغيرها .

ورغّبها في الصلاة في بيتها .

ونهاها عن الخروج في الجنائز .

وحرم عليها السفر وحدها من غير محرم .

ولم يأمرها بكسب ، ولم يطالبها بنفقة ، بل أوجب نفقتها على أبيها وهي بنت ، وعلى زوجها وهي زوجة ، وعلى أولادها وهي أم[١] ...

---

(١) وهذا مما تغبط المرأة الأجنبية عليه المرأة المسلمة ، فقد حدثنا الثقات الذين عرفوا الحقيقة عن كثب ، أن كثيراً من النساء الأجنبيات ، اللاتي عرفن كرامة المرأة المسلمة وعزتها ، وأنها سيدة في بيتها في جميع أطوار حياتها . وأن الرجال هم الذين يسعون في تقديم نفقاتها ... تمنين أن يعشن مسلمات في بلاد الإسلام : والفضل ما شهدت به الأعداء .

كل هذا ليصون الرجـال من الفتنـة بـالنسـاء ، وليحقق في المجتمع الطهر والعفاف .

☆ ☆ ☆

كلمة في حجاب المرأة

بقلم العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري
رحمه الله تعالى
وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية سابقاً

حجاب المرأة

خوطب نساء النبي ﷺ في كتاب الله بقوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ في بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾[١] ...

وأُمرن بالاحتجاب عن الرجال ، مع أنهن أمهات المؤمنين ، بنص الكتاب الكريم ، فغيرهن يكن أولى منهن بالاحتجاب ، لكونهن أجنبيات بالنظر إلى غير محارمهن من الرجال .

وقد قال الله تعالى :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ﴾[٢] .

فساوى بين نساء النبي ونساء المؤمنين في وجوب الحجاب البالغ .

---

(١) ٣٣ ـ الأحزاب .

(٢) ٥٩ ـ الأحزاب .

وقد فسر عبَيدة السلماني ، وارث علوم علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما ، والذي كان يخضع لعلمه وفهمه مثل القاضي شريح ـ الذي استمر على قضاء الكوفة ستين سنة ، من عهد عمر رضي الله عنه ـ قد فسّر ادناء بعض جلابيبهن ، فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره ، حيث قال :

« حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبَيدة ، في قوله تعالى :

﴿ **يُدنين عليهن من جلابيبهن** ﴾ .

فلبسها عندنا ابن عون ، قال : ولبسها عندنا محمد ، قال محمد ، ولبسها عندي عبَيدة ، قال ابن عون : فتقنّع بردائه ، فغطى أنفه وعينه اليسرى ، وأخرج عينه اليمنى ، وأدنى رداءه من فوق ، حتى جعله قريباً من حاجبه ، أو على الحاجب » .

ورجال هذا السند جبال في الثقة والضبط ، فابن جرير هو الحافظ الطائر الصيت ، المفسر المشهور ، وشيخه يعقوب ابن إبراهيم العبدي ، وشيخه ابن علية إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، وشيخه محمد بن سيرين ، كلهم ثقات ، اتفق الأئمة الستة

على إخراج أحاديثهم رضي الله عنهم ، وعبيدة هو السلماني الـذي شرحنا حاله ، وأخرج له الجماعة أيضاً .

وقد فسَّر ابن مسعود رضي الله عنـه ، قولـه تعـالى : ﴿ **إلا ما ظهر منها** ﴾ بـالثيـاب ، فيكون تفسيره بـالكحل والخـاتم ـ أي موضعهما من الوجه والكف ـ غير مرضيّ عنـده ، وهو كنيف ملىء علماً . فيكون هذا التفسير من ابن مسعود موافقـا لـذاك ، ولتفسيره الزينة بالثياب ، في قوله تعـالى : ﴿ **خـذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾[1] .

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضـاً ، تفسير الإدناء في الآيـة السـابقـة بإبـداء عين واحـدة ، كما فسره عبيدة .

وصح عن عائشة رضي الله عنها مثل ذلك مذهباً لها .

فوضعُ حجـاب غير صفيق على الوجـه ، بحيث لا يمنع المرأة من رؤيـة الطريـق التي تمشي هي فيهـا ، يُعـد مثـل ذلـك في المعنى . لأن المقصـود الأصلي من الحجـاب أن لا تظهر محـاسن

(١) ٣١ ـ الأعراف

المرأة للرجال ، والحجاب المذكور مانع من ذلك الظهور ، ما دام الرجال يراعون غض البصر الذي أمروا به كالنساء .

ويقول عبيدة السابق أخذ جمهور السلف ، وعليه عوّل الإمام أبو بكر الرازي الجصاص في أحكام القرآن ، وهو عظيم المنزلة بين فقهاء الحنفية .

وأما إباحة كشف الوجه والكفين للمرأة في الصلاة ، وفي إحرام الحج ، فلا تدل على جواز ذلك عند خروجها من بيتها في حاجة ، لأن حالة إحرام المرأة حالة تلبّسها بعبادة الله سبحانه، كما أن سائر الحجاج كذلك، فيكونون على غاية من غض البصر ، وحفظ النظر . وصلاة المرأة تكون في بيتها أو مخدعها ، فلا يتصور أن تكون في حالة الصلاة مظنة اطلاع الرجال على محاسنها ، فلا تقاس بهما حالة خروج المرأة من بيتها - في حاجة - إلى بيئة فاسدة ، وغاية ما في الأمر استثناء حالة الإحرام ، وحالة الصلاة من حكم الآية .

والآية صريحة في وجوب إدناء طرف الجلباب إلى العين من تحت ومن فوق ، كما تناقل هؤلاء الأئمة الثقات ذلك بعضهم عن

بعض ، على ما أسلفناه .

وأما حديث عائشـة في سنن أبي داود ، من استثنـاء الوجـه والكفين ، فلو صح لكان ترك عـائشـة العمل بـه علـةً قـادحـة تصرف عن الأخذ به عند جمهور السلف ، فيكف وفيه رواية خـالـد ابن دريك عن عائشة ، ولم يدركها باتفاق ، وسعيد بن بشر في السند ضعيف ، وفيه أيضاً عنعنة بعض المدلسين ؟!

وأما ما يروى عن أئمـة الأمصـار ، من جواز كشف وجهها وكفيهـا ، فمقيّـد بعـدم الخـوف من الفتنـة ، وأين ذلـك المجتمـع المهـذب ، الـذي يـأمن الإنسـان فيـه الفتنـة عنـد خروج المرأة سافرة ؟!

قال شمس الأئمة السرخسي في المبسوط « ١٠ ـ ١٢٥ » :

حرمـة النظر لخوف الفتنـة ، وخـوف الفتنـة في النظر إلى وجههـا ـ وعـامـة محـاسنهـا في وجههـا ـ أكثر منـه إلى ســائر الأعضاء .

ثم ذكر ما يروى عن أبي حنيفة وأصحابه من إبـاحـة النظر إلى الوجه والكفين ، ثم قال :

« وهذا كله إن لم يكن النظر عن شهوة ، فإن يعلم أنه إن نظر اشتهى ، لم يحلّ له النظر إلى شيء من ذلك . وكذلك إن كان أكبر رأيه أنه إن نظر اشتهى ، لأن أكبر الرأي فيما لا يوقف على حقيقته كاليقين » .

وعدم خوف الفتنة إنما يُعلم في ناظرٍ خاص ، وأما بالنظر إلى جماهير الناس ، الذين تبرز المرأة سافرة أمامهم ، فلا يتصور عدم خوف الفتنة منهم جميعا ، فيتحتم المنع من السفور أمامهم على هذا التعليل .

وبهذا يظهر مذهب أبي حنيفة وأصحابه في المسألة .

وقال القرطبي في تفسيره « ١٢ ـ ٢٢٩ » :

قال ابن خويز منداد ، وهو من كبار أئمة المالكية :

« إن المرأة إذا كانت جميلة ، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة ، فعليها ستر ذلك ، وإن كانت عجوزاً أو مقبّحة ، جاز أن تكشف وجهها وكفيها » .

وهذا إيضاح منه لمذهب مالك في المسألة .

وأما عند الشافعي ففي كفاية الأخيار « ٢ - ٢٣ » فيحرم النظر إلى وجهها وكفيها إن خاف فتنة ، فإن لم يخف ففيه خلاف ، والصحيح التحريم .

قاله الاصطخري ، وأبو علي الطبري ، واختاره أبو محمد الجُوَيني ، وبه قطع أبو إسحاق الشيرازي والرُّوياني ، ووجهه الإمام - إمام الحرمين - باتفاق المسلمين ، على منع النساء من الخروج حاسرات سافرات ، وبأن النظر مظنة الفتنة ، وهو محرك للشهوة ، فالأليق بمحاسن الشرع سد الباب ، والإعراض عن تفاصيل الأحوال .

وقول الشافعي في الأم « ١ - ٧٧ » :

« وعلى المرأة أن تغطي في الصلاة كل ما عدا كفيها ووجهها » مقيد بالصلاة كما ترى .

وأما مذهب أحمد في المسألة ، فكمذهب الشافعي على حد سواء . رضي الله عن الجميع .

ومن أباح النظر إلى الوجه إنما أباحه عند قيام ضرورة للكشف عن الوجه كالخطبة والشهادة والمعاملة معها عند عدم

وجود من ينوب عنها ، لا عند خروجها بدون أي ضرورة ، لمجرد التبرج والتفرنج .

وقول ابن جرير وابن حزم بإباحة النظر إلى الوجه ، إنما هو عند عدم خوف الفتنة من ناظر معين ، وأما خروجهن سافرات أمام فئات من الناس ، فيهم كل صنف من الفسقة ، فمما لا يرضاه عالم يخاف ربه .

ومن تمشدق بقضاء المرأة في بعض القضايا ، لم يدرك أن نفاذ حكمها فيها عند بعض الفقهاء ، مقرون بوقوعها في الإثم ، كنفاذ الحكم في بعض مسائل الحيل مع كون المحتال آثما . فلو ولّيت امرأة القضاء ظلماً وعدواناً ، نفذ قضاؤها في بعض القضايا عند بعض الفقهاء ، مع وقوعها في الإثم بتوليها القضاء ، كنفاذ الحكم في بعض مسائل الحيل مع الإثم ، ومن توهم انتفاء الإثم عند نفاذ الحكم ، فقد بعد عن الفقه .

وقد وردت عدة أحاديث في استنزال اللعنات على المائلات المميلات ، الكاسيات العاريات ، اللائي على رءوسهن أمثال أسنمة البخت ، فأمرهن لا يُحوِج إلى شرح وبيان .

ولتلك النصوص الصريحة في وجوب احتجاب النساء ، تجد نساء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، في غاية المراعاة للحجاب منذ قديم ، في البلاد الحجازية واليمنية وبلاد فلسطين والشام وحلب والعراقين - عراق العجم وعراق العرب - وبلاد المغرب الأقصى ، إلى المغرب الأدنى ، وصعيد مصر والسودان وبلاد جبرت والزيلع وزنجبار ، وبلاد فارس والأفغان والسند والهند ، بل كانت بلاد الوجه البحري بمصر . وبلاد الرومللي والأناضول ، وبلاد الألبان قبل مدة ، في عداد البلدان التي تراعي فيها نساؤها الاحتجاب البالغ ، بل كانت بلاد الألبان تثور عندما تريد الحكومة تسجيل أسماء النساء . سبحان من يغير ولا يتغير !

وليس بقليل بمصر من أدرك ما كانت عليه نساء مصر كلهن من ناحية الحجاب ، قبل عهد « قاسم أمين » داعية السفور في عهد الاحتلال .

والغيرة على الحريم رمز الإسلام الصحيح ، وَمن فقدها من أبناء البلاد الإسلامية ، إنما فقدها بعد اندماجه في أمم لا يغارون على نسائهم ، ولا يرون أي بأس في مخاصرة زوجاتهم

لرجال آخرين ، في مرأى منهم ومشهد .

وكان العلامة أحمد وفيق باشا العثماني سريع الخاطر ، حاضر الجواب ، سبق أن تقلد كثيراً من الوظائف السياسية في عواصم أوربة ، قبل أن يتولى الصدارة العظمى ، في أوائل سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد سأله بعض عُشَرائه من رجال السياسة في أوربة ، في مجلس بإحدى تلك العواصم قائلاً :

«لماذا تبقى نساء الشرق محتجبات في بيوتهن مدى حياتهن ، من غير أن يخالطن الرجال ، ويغشَيْن مجامعهن » ؟

يقول هذا مستنكراً لتلك العادة المتوارثة في الشرق .

فأجب في الحال قائلاً :

« لأنهن لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن » .

وكان هذا الجواب كصبِ ماء بارد على رأس هذا السائل ، فسكت على مضض ، كأنه ألقم الحجر .

أيقظنا الله سبحانه من رقدتنا ، وأشعرنا الاعتزاز بالعزة الإسلامية ، والشرف الإسلامي ، وأبعدنا عن الاندماج في أمة غير أمتنا ، وهدانا سبيل السداد .

طاعة النساء ندامة :

ومن الفتنة بالنساء تعلُّق القلب بهن ، وطاعتهن في معصية الله .

قال الله تعالى :

﴿ زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ﴾[١] ...

وفي الحديث الشريف : إذا كانت أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها .

وإذا كانت أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها[٢] .

قال بعض السلف : في النساء فتنتان ، وفي الأولاد فتنة واحدة .

---

(١) ١٠ـ آل عمران .

(٢) رواه الترمذي .

فأما اللتان في النساء :

فأحداهما ـ أن تؤدي إلى قطع الرحم ، لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات ...

والثانية ـ يُبتَلى بجمع المال من الحلال والحرام .

وأما البنون فالفتنة فيهم واحدة ، وهو ما ابتُلي بجمع المال من أجلهم .

فعلى الإنسان أن يبحث عن ذات الدين ، ليسلم له الدين .

وفي الحديث الشريف :

تُنكَح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك[1] .

ومعناه : أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع ، فاحرص أنت على ذات الدين ، واظفر بها ، واحرص على صحبتها .

---

(١) رواه البخاري ومسلم . ومعنى تربت يداك : افتقرت ، أي لصقت بالتراب ، وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب ، لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ، وإنما يريدون الحث والتحريض .

لا تزوَّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يُرديهن - أي يهلكهن - ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تُطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمةٌ سوداء خَرْماء - مقطوعة بعض الأنف ، ومثقوبة الأذن - ذات دين أفضل(١) .

الفتنة بالأصحاب والخلطاء :

قال الله تعالى في شأن من كفر به وبرسله :

﴿ وقيَّضنا لهم قُرنَاء ، فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ، إنهم كانوا خاسرين ﴾(٢) .

من أسباب ضلالتهم أن الله تعالى هيأ لهم قرناء من الإنس والجن ، يزيّنون عندهم المعاصي ، ويحسّنون لهم أمر الدنيا ، حتى آثروها على الآخرة ، فاستحقوا العذاب ، كما استحقه الذين كفروا من قبلهم ، فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

وقال تعالى عند ذكر أهل الجنة ، وما هم فيه من النعيم :

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) ٢٥ ـ فصلت .

﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قال قائل منهم :

إني كان لي قرين ، يقول :

أئنك لمن المصدّقين ، أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ؟

قال : هل أنتم مطّلعون ؟

فاطلع فرآه في سواء الجحيم .

قال : تالله إن كدتَ لتُردين[١] ولولا نعمة ربي لكنت من المحضَرين[٢] ﴾ ....

من تمام الأنس لأصحاب الجنة في الجنة ، إقبال بعضهم على بعض ، وذكر أحاديثهم في الدنيا ، والله تعالى يقص علينا في هذه الآيات الكريمة أن واحداً منهم يتذكر صديقاً له في الدنيا ، كان ينكر الآخرة ، ويزيّن له إنكارها ، فيطَّلع إلى

(١) أي تهلكني .

(٢) ٥٠ ـ ٥٧ ـ الصافات .

النار ، لينظر ما صار إليه أمر صديقه هذا ، فيراه فيها ، فيذكّره بما كان يزيّنه له في الدنيا من الكفر بالآخرة ، ويذكر نعمة ربه عليه ، في تثبيته إياه على الإيمان ، ونجاته من النار .

ولهذا جاء في الحديث الشريف :

الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل[١] ـ أي يصاحب ـ

وفي الحديث الشريف :

إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير .

فحامل المسك إما أن يُحذيك ـ أي يعطيك ـ وإما أن تبتاع منه ـ أي تشتري ـ وإما أن تجد منه ريحاً طيبة .

ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة[٢] .

(١) رواه أبو داود والترمذي والحاكم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال :

تحببــوا إلى الله ببغض أهــل المعــاصي ، وتقربــوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا رضا الله بسخطهم .

قالوا يا روح الله فمن نجالس ؟

قال : جالسوا من تذكّركم الله رؤيته ، ومن يزيـد في عملكم كلامه ، ومن يرغّبكم في الآخرة عمله .

وقال الحسن البصري رضي الله عنه :

مصارمة الفاسق ـ أي مقاطعته ـ قربان إلى الله .

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه :

فـلا تصحب أخــا الجهـل ... وإيــــاك وإيـــــاهُ
فكم من جـــاهــلٍ أردى ... حليمـــاً حين آخـــاه !
يقـــاس المرء بــــالمرء ... إذا مـــا المرء مــا شــاه
وللشيء على الشيء ... مقـــاييس وأشبـــــاه
وللقلب على القلب ... دليــــل حين يلقـــــاه

وقال آخر :

إذا كنت في قـوم فصـاحب خيـارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مـع الردي
عن المرء لا تسـأل وسـل عن قرينـه
فكل قرين بـالمقـارن يقتـدي

وقال آخر :

واحذر مصاحبة العَصِيّ فإنه
يُعدي كما يُعدي السليمَ الأجربُ

وقال بعض العلماء :

لا تصحب إلا أحـد رجلين : رجل تتعلم منـه شيئاً في أمر دينك ، فينفعك ، أو رجل تعلّمـه شيئاً في أمر دينـه ، فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه'.

وقـد قـال الله تعـالى : ﴿ **واتّبـع سبيـل من أنـاب إليّ** ﴾[1] .

فصحبـة الرجـل الصـالـح التقي المنيب نـافعـة ، وصحبـة

---

(١) ١٥ ـ لقمان .

العاصي ضارة ، لأن مشاهدة الفسق والفسّاق تهوّن أمر المعصية على القلب ، وتضعف نفرة القلب عنها .

فعلى المؤمن العاقل أن ينبّه أولاده إلى حسن اختيار الأصحاب ، لتسلم لهم أخلاقهم ، ويسلم لهم دينهم وإيمانهم ، فإن صحبة أهل الفسق تجر إلى الفسق ، وصحبة أصحاب الأهواء تسوق إلى اتباع الأهواء ، وصحبة أهل الزيغ والإلحاد ، توقع في هوة الكفر والإلحاد .

وكذلك ينبغي للمؤمن أن يسأل أهله عمن يخالطن من النساء ، فلا يأذن لهن بزيارة غير الصالحات ، ولا يأذن بالدخول عليهن لغير الصالحات ، ويغلق بابه في وجه الفاسقات المتبرجات والسافرات .

فمن المؤسف جداً غفلة كثير من المسلمين عن ذلك ، فترى المرأة المحجبة الصالحة ، تسير في الشوارع إلى جانب المتبرجة أو السافرة ، أو المتكشفة المتعرية ، وتصحبها في ذهابها وإيابها ، وتجالسها في مجامعها ... ناسية أو متناسية أن الرضا بالمعصية معصية .

جـاء في الحـديث الشريف : أن النبي ﷺ ، دخـل على عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة .

قال : من هذه ؟

قالت : هذه فلانة ، تذكر من صلاتها[١] .. الحديث .

ففي قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « من هذه » ؟

إرشاد لكل مسلم ، أن يسأل أهله عمن يخالطن من النساء ، ليحفظهن من مخالطة غير الصالحات .

من المأثورات في التعوذ من الفتن :

ـ اللهم إني أعوذ بك من الجُبْن والبخل ، وأعوذ بـك من أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر[٢] وأعوذ بك من فتنة الدنيا[٣] . وأعوذ بـك من فتنة القبر[٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) أرذل العمر : أخسه وهو الهرم .

(٣) فتنة الدنيا : الابتلاء بالغنى أو الفقر الشاغل عن الله تعالى ، المبعد عن سـاحـات فضله .

(٤) فتنة القبر : الناشئـة عن سؤال الملكين فيـه ، فـإن المؤمن يثبت ، والمنـافق يفتن ويهلك ، « رواه البخاري » .

ـ اللهم إني أعـوذ بـك من علم لا ينفـع ، وقلب لا يخشـع ، ودعاء لا يُسمع ، ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من الجوع ، فإنـه بئس الضجيـع ، ومن الخيـانـة ، فـإنهـا بئست البطـانـة ، ومن الكسـل والبخـل ، والجبن والهرم ، ومن أن أرد إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجال ، وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات[١] .

وصلى الله على سيـدنـا محمـد ، وعلى آلـه وصحبـه وسلم . سبحان رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

☆ ☆ ☆

---

(١) رواه أحمد والحاكم .

الفهرس

مطبعه الكلمة بالجيزة
٤ شارع أحمد برادة ـ ت ، ٧٣٢٢٣١

من آثار المؤلف العلمية

* **سلسلة العقائد :**

١ ـ الإيمان بالله تعالى .

٢ ـ الإيمان بالرسل .

٣ ـ الإيمان بالملائكة .

٤ ـ الإيمان باليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

٥ ـ الإيمان : خصائصه ، علاماته ، ثمراته (قسمان) .

٦ ـ الكفر والمكفرات .

* **سلسلة من هدي الإسلام :**

١ ـ شؤم المعصية وبركة التقوى .

٢ ـ هذا الإنسان .

٣ ـ الدعوة إلى الإسلام وأركانها .

٤ ـ الفتن .

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٦ ـ القلب .

٧ ـ منهاج التربية الصالحة .

٨ ـ فضيلة الدعاء والذكر (قسمان) .

٩ ـ الحق والباطل .

١٠ ـ التوبة (قسمان) .

١١ ـ العمل الصالح .

١٢ ـ الرؤى والأحلام .

١٣ ـ الهدى والضلال .

١٤ ـ العشر المهلكات .

١٥ ـ من محاسن الإسلام .

١٦ ـ الاجتهاد والمجتهدون .

☆ ☆ ☆

من منشوراتنا

* الأساس في التفسير (١ ـ ١١) مجلد

للأستاذ / سعيد حوّى

قدم فيه المؤلف نظرية جديدة متكاملة عن الوحدة القرآنية ، مستفيداً من القديم مع التبسيط ، آخذاً من الحديث ما يفيد ، وعرض لنصوص الكتب القديمة للديانات السابقة ،

مقارناً ناقداً موجهاً ، وعرض النص القرآني محاولاً ربط المسلم بربه مباشرة ، وتبصيره بواقع عصره ، مبيناً كيف أن القرآن أعطانا الردَّ على كل ما نحتاجه .

* كتاب الكبائر . للإمام الذهبي

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له بمقدمة وافية ، الشيخ : عبد الرحمن فاخوري .

* حماية الحياة الخاصة . للدكتور / محمد راكان الدغمي

* التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية .

للدكتور / محمد راكان الدغمي

* فتاوى الإمام النووي . تحقيق الشيخ / محمد الحجار

* قصص للفتيان والفتيات : للأستاذ / عبد الحميد طهماز

الحلقة الأولى : فتيان أسلم

الحلقة الثانية : فرسان مخزوم

* سلسلة تسهيل الفقه الإسلامي مع أدلته من المنقول والمعقول : للأستاذ / عبد الوهاب طويلة

ومنها : فقه الطهارة - فقه الأشربة (أو حكم الإسلام في المسكرات والمخدرات والتدخين) .